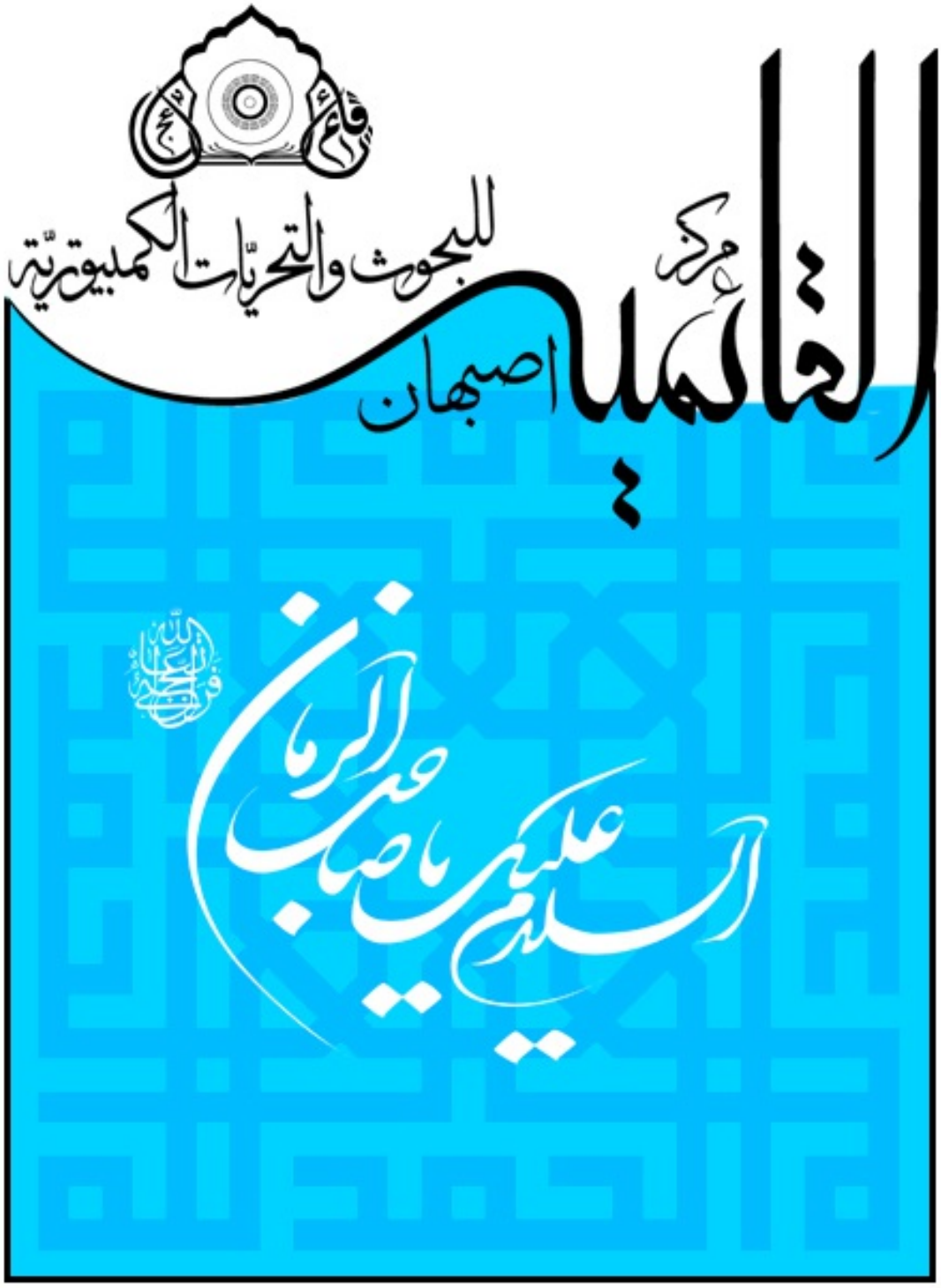

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

تاريخ الشيعة وعقيدتهم

تلخيص من
أنوار على عقائد الشيعة الإمامية وتاريخهم

تأليف سعد الشماني
الملخص أبو إياد الناصر

بسم الله الرحمن الرحيم

تاريخ الشيعه و عقيدتهم

كاتب:

جعفر سبحانى

نشرت فى الطباعة:

مشعر

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
تاریخ الشیعه و عقیدتهم ----- ۱۱
اشارة ----- ۱۱
المقدّمة ----- ۱۱
اشارة ----- ۱۱
سمات العقیدة الإسلامیة ----- ۱۵
الفصل الاوّل: الشیعة فی موکب التاریخ ----- ۱۹
مبدأ التشیّع وتاریخ نشأته ----- ۱۹
الشیعة فی کلمات المؤرخین وأصحاب الفرق ----- ۲۲
روّاد التشیع فی عصر النبی (ص) ----- ۲۳
الکتب المؤلّفة حول روّاد التشیّع ----- ۲۴
الشیعة فی العصرین: الأموی والعباسی ----- ۲۵
الشیعة فی العصر الأموی ----- ۲۵
بیان معاویة إلی عمّاله: ----- ۲۸
ضحایا الغدر الأموی: ----- ۲۹
الشیعة فی العصر العباسی ----- ۳۰
فرضیات وهمیة لنشأة التشیع ----- ۳۵
اشارة ----- ۳۵
الفرضیة الأولی: الشیعة ویوم السقیفة! ----- ۳۶
الفرضیة الثانیة: التشیّع صنیع عبدالله بن سبأ ----- ۳۷
اشارة ----- ۳۷
نظر المحقّقین فی الموضوع: ----- ۳۹
عبدالله بن سبأ اسطورة تاریخیة: ----- ۴۱

الفرضية الثالثة: التشيّع فارسى المنشأ ----- ۴۳
اشارة ----- ۴۳
شهادة المستشرقين على أنّ التشيّع عربى المبدأ ----- ۴۴
الفرضية الرابعة: التشيّع فارسى المنحى ----- ۴۵
الفرضيه الخامسة: الشيعة ويوم الجمل ----- ۴۷
الفرضية السادسة: الشيعة ويوم صفين ----- ۴۸
الفرضية السابعة: الشّيعة والبويهيون ----- ۴۸
الفرضية الثامنة: الشيعة والصفّويون ----- ۴۹
الفصل الثانى: الأئمّة الإثنا عشر ----- ۵۱
اشارة ----- ۵۱
إلامام الأوّل: «أميرالمؤمنين على بن أبى طالب ۷» ----- ۵۲
اشارة ----- ۵۲
تنصيب على (ع) للإمامة ----- ۵۲
شذرات من فضائله ----- ۵۴
الإمام الثانى: «أبو محمد الحسن بن على المجتبى ۸» ----- ۵۵
اشارة ----- ۵۵
شهادته ودفنه (ع): ----- ۵۶
الإمام الثالث: «أبوعبدالله الحسين بن على ۸ سيدالشهداءِ» ----- ۵۷
الإمام الرابع: «على بن الحسين بن على زين العابدين (ع)» ----- ۶۰
الإمام الخامس: «أبوجعفر محمد بن على الباقر ۸» ----- ۶۱
الإمام السادس: «أبوعبدالله جعفر بن‌محمّدالصادق ۸» ----- ۶۲
الإمام السابع: «أبوالحسن موسى بن جعفرالكاظم ۸» ----- ۶۵
الإمام الثامن: «أبوالحسن على بن موسى الرّضا ۸» ----- ۶۶
الإمام التاسع: «أبوجعفر محمد بن على الجواد ۸» ----- ۶۸

الإمام العاشر: «أبوالحسن على بن محمّد الهادى ۸» ۶۹
الإمام الحادى عشر: «أبومحمد الحسن بن على العسكرى ۸» ۷۰
الإمام الثانى عشر: «المهدى بن الحسن المنتظر [» ۷۱
اشارة ۷۱
أسئلة مهمّة حول المهدى (عج) ۷۳
السؤال الأوّل: كيف يكون إماماً وهو غائب؟ وما فائدته؟! ۷۳
السؤال الثانى: لماذا غاب المهدى [؟! ۷۶
السؤال الثالث: الإمام المهدى [وطول عمره؟! ۷۶
السؤال الرابع: ما هى علائم ظهوره؟! ۷۷
الفصل الثالث: دورالشيعة فى بناء الحضارة الإسلامية ۷۹
تمهيد: ۷۹
بلدان الشيعة وأماكن تواجدهم ۹۳
الفصل الرابع: مع الشيعة الإمامية فى عقائدهم ۹۵
تمهيد: ۹۵
الفرق بين الشيعة الإمامية والمعتزلة ۹۷
الفرق بين الشيعة الإمامية والأشاعرة ۹۹
الفرق بين الشيعة الإمامية وسائِر الفرق ۱۰۲
المسألة الاولى: «وجوب تنصيب‌الإمام‌على الله‌سبحانه» ۱۰۲
المسألة الثانية: «عصمة الإمام» ۱۰۵
اشارة ۱۰۵
حقيقة العصمة ۱۰۵
«الدليل على لزوم عصمة الإمام بعد النبى (ص)» ۱۰۶
ما هو المراد من الظالم؟ ۱۰۸
العصمة فى القول والرأى ۱۰۹

المسألة الثالثة: «الإمام المنتظر [» ۱۱۰
المسألة الرابعة: التقية ۱۱۰
اشارة ۱۱۰
«غايتها» ۱۱۱
«دليلها فی القرآن والسنّة» ۱۱۲
«الظروف العصيبة الّتی مرّت بها الشيعة» ۱۱۳
اشارة ۱۱۳
حدّ التقية ۱۱۴
«التقية المحرّمة» ۱۱۴
المسألة الخامسة: «البداء عند الشيعة الإمامية» ۱۱۵
اشارة ۱۱۵
البداء فی مقام الثبوت ۱۱۷
الأثر التربوی للإعتقاد فی البداء: ۱۱۹
«البداء فی مقام الإثبات» ۱۱۹
«تلميحات للبداء فی الذكر الحكيم:» ۱۲۰
اشارة ۱۲۰
تتمه البحث ۱۲۱
الأمر الأول ۱۲۱
الأمرالثانی: ۱۲۲
المسألة السادسة: «الرجعة فی الكتاب والسّنة» ۱۲۲
المسألة السابعة: زواج المتعة ۱۲۴
المسألة الثامنة: متعة الحجّ ۱۲۶
المسألة التاسعة: مسح الأرجل فی الوضوء ۱۲۷
المسألة العاشرة: السجود على الأرض ۱۲۸

المسألة الحادية عشرة: عدالة الصحابة كلّهم! ----- ۱۳۰
اشارة ----- ۱۳۰
الصحابة فی القرآن الکریم ----- ۱۳۲
المسألة الثانية عشرة: فی عالمية رسالة النبی ۹ و خاتميتها ----- ۱۳۴
اشارة ----- ۱۳۴
الخاتمية فی الذکر الحکيم ----- ۱۳۵
الخاتمية فی الأحاديث النبوية ----- ۱۳۷
الخاتمية فی أحاديث العترة الطاهرة ----- ۱۳۸
أسئِلَة حول الخاتمية ----- ۱۳۸
المرونة التشريع الإسلامی: ----- ۱۴۴
الشيعة والخاتمية: ----- ۱۴۷
۱- کتاب علی (ع) وإملاء رسول الله (ص) ----- ۱۴۷
ما هو مصدر روايات أهل البيت؟ ----- ۱۴۹
الفصل الخامس: «رؤية الله» فی ضوء الکتاب ----- ۱۵۳
والسّنة والعقل ----- ۱۵۳
«الرؤية بالأبصار لا بالقلب ولا بالرؤيا» ----- ۱۵۴
«الرؤية فی کلمات الإمام علی ۷» ----- ۱۵۵
«الرؤية فی منطق العلم والعقل» ----- ۱۵۶
«محاولة يائسة فی تجويز الرؤية» ----- ۱۵۷
موقف الذکر الحکيم من أمر الرؤية: ----- ۱۵۸
دراسة أدّلة النافين ----- ۱۶۰
شبهات المخالفين ----- ۱۶۳
الشبهة الاولی: ----- ۱۶۳
الشبهة الثانية: ----- ۱۶۴

رؤية الله فی الذکر الحکیم: «دراسة أدلة المثبتین» ----- ۱۶۵
«خمس آیات علی مائدة التفسیر» ----- ۱۶۶
رؤیة الله فی الأحادیث النبویة ----- ۱۷۱
الرؤیة القلبیة ----- ۱۷۲
تکفیر «إبن باز» لمن لایقول بالرؤیة ----- ۱۷۳
تحلیل هذه الفتیا: ----- ۱۷۳
الخاتمة ----- ۱۷۵
تعریف مرکز ----- ۱۷۷

تاریخ الشیعه و عقیدتهم

اشارة

سرشناسه : قائمی، آفرین خلاصه‌کننده.

عنوان قراردادی : اضواء علی عقائدالشیعه‌الامامیه و تاریخهم. برگزیده.

عنوان و نام پدیدآور : تاریخ‌الشیعه و عقیدتهم : تلخیص من اضواء علی عقائدالشیعه‌الامامیه و تاریخهم/تالیف جعفر السبحانی ؛ الملخص آفرین القائمی.

مشخصات نشر : تهران: مشعر، ۱۳۸۷.

مشخصات ظاهری : ۱۷۱ ص.

شابک : ۱۲۰۰۰ ریال:۹۷۸-۹۶۴-۵۴۰-۱۵۵-۷

وضعیت فهرست نویسی : فیپا

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتابنامه به صورت زیرنویس.

موضوع : شیعه امامیه -- عقاید.

موضوع : ائمه اثناعشر -- سرگذشتنامه.

موضوع : شیعه -- تاریخ.

موضوع : کلام شیعه -- امامیه.

شناسه افزوده : سبحانی‌تبریزی، جعفر، ۱۳۰۸ - -- اضواء علی عقائدالشیعه‌الامامیه و تاریخهم. برگزیده.

رده بندی کنگره : BP۲۱۱/۵س۱۸الف۶۳۰۱۷ ۱۳۸۷

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۴۱۷۲

شماره کتابشناسی ملی : ۱۳۳۸۴۱۸

ص: ۱

المقدّمة

اشارة

ص: ۲

ص: ۳

ص: ۴

ص: ۵

سمات العقيدة الإسلامية

للعقيدة الإسلامية صفات متعدّدة؛ منها: سهولة فهمها وتعلّمها؛ لأنّها عقيدة شاملة لاتختص بالفلاسفة والمتكلّمين والمفكرين بالرغم من عمقها، إلّا أنّ ذلك لايعنى سذاجتها وابتذالها وعدم خضوعها للبراهين العقلية، فللعقيدة براهينها الواضحة التى يمكن أن يقف عليها كلّ من درسها وإنّ من العوامل التى ساعدت على سرعة انتشار الإسلام فى مختلف الحضارات وتغلغله بين الأوساط اتّصافه بسهولة العقيدة ويسرالتكليف ومن المعلوم أنّ الإذعان بشىءٍ متوقّف على ثبوت مقدّمات بديهية أو نظرية منتهية إليه حتّى يستتبعها اليقين

ص: ۶

والإذعـان واطمئنان القلب ورسوخ الفكرة فى القلب والنفس. وهـذا هو الـذى يفرض علينا أن نسـتجيب للعقل، باعتباره العمود الفقرى للعقائد التى يبتنى عليها صرح النبوّة المحمدية(ص)، ولذلك نرى أنّ الكتاب العزيز يثبت هذا الأصل بدلالة العقل وإرشاده (۱). وهذا يفرض علينا أن نفتح قلوبنا لنداء العقل ودعوته.

إنّ رفض العقل فى مجال البرهنة على العقيدة- من قبل بعض الفرق- صار سـبباً لتغلغل الخرافة فى عقائد كثير من الطوائف الإسـلامية، وعلى أثر ذلـك دخلت أخبـار التجسـيم والتشبيه فى الصـحاح والمسانيـد عن طريق الأحبار والرهبان الـذّين تظاهروا بالإسـلام وأبطنوا اليهودية والنصرانية وخدعوا عقول المسلمين، فحشروا عقائدهم الخرافية بين المحدّثين والسذّج من الناس الذين اغترّوا بإسلامهم.

و ليس معنى ذلك أنّ المرجع الوحيد فى العقيدة هوالعقل دون الشرع، بل إنّ اللبنات الأوّلية لصرح العقيدة الإسلامية يجب أن

۱- انظر: الأنعام: ۱۰۳ والأعراف: ۱۴۳ وآل عمران: ۱۹۰ والأنبياء: ۲۲ والمؤمنون: والإسراء: ۴۲ و ...

ص: ۷

تكون خاضعة للبرهان، وأمّا الأمور الفرعية فلا مانع أن‌تثبت بالنقل بشرطين:

الأول: أن لاتناقض حكم العقل،

و الثانى: ثبوت صدورها عن الشارع،

فعندما نثبت بحكم العقل نبوّة النبى الأكرم(ص) يكون كلّ ما جاء به النبى(ص) حجة فى العقائد والأحكام، لكن بشرط الاطمئنان بصدوره عن النبى الأكرم(ص).

و لقد ركّز هذا الكتاب على بيان المشتركات التى تجمع بين الطائفتين(السنّة والشّيعة) على صعيد العقيدة والشريعة والفكر، إلى جانب بيان الفوارق التى ساقها إليهم الدليل والبرهان، هذا فى الوقت الذى نذعن فيه لما قاله رائدنا السيد شرف‌الدين العاملى(رحمة الله) حينما خاطب علماء السنّة بقوله: مايجمعنا؛ أكثر ممّا يفرّقنا.

و تبعه الشاعر المخلق محمد حسن عبدالغنى المصرى، شاعرالأهرام لمّا قال:

إنّا لتجمعنا العقيدة أُمّةً وى-- ضمّنا دين الهدى أتباعاً

و يؤلّف الاسلامُ بين قلوبنا مهما ذهبنا فى الهوى أشياعاً

ص: ۸

و فی الختام نرجو من الله سبحانه أن یکون هذاالکتاب مساهمة متواضعة فی سبیل تقریب الخطی بین المسلمین وتوثیق أواصر الأخوة وتعزیز التعاون المشترک بینهم کی یکونوا صفّاً واحداً أمام أعدائهم، إنّه علی ذلک لقدیر وبالإجابة جدیر.

ص: ۹

الفصل الاوّل: الشيعة فى موكب التاريخ

مبدأ التشيّع وتاريخ نشأته

التشيّع يظهر بأوضح صورة من خلال الالتفاف والمشايعة للوصى الذى اختاره رسول الله(ص) خليفة له بأمرالله تعالى، فإذا اعتبرنا أنّ التشيّع يرتكز أساساً على استمرار القيادة بالوصى، فلانجد له تاريخاً سوى تاريخ الإسلام، والنصوص الواردة عن رسول الله(ص) تدلّ وبوضوح على أنّ الإستجابة اللاحقة استمرار حقيقى لما سبقها فى عهد رسول الله(ص)، وإذا كان كذلك فإنّ جميع من استجابوا لرسول الله(ص) وانقادوا له انقياداً حقيقياً يعدّون بلاشك روّاد التشيّع الأوائل وحاملى بذوره؛ فالشيعة هم

ص: ۱۰

المسلمون من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسانٍ فى الأجيال اللاحقة، من الذين بقوا على ما كانوا عليه فى عصر الرسول فى أمر القيادة، ولم يغيّروه ولم‌يتعدّوا عنه إلى غيره ولم‌يأخذوا بآرائهم الخاصّة فى مقابل النصوص، وصاروا بذلك المصداق الأبرز لقوله سبحانه:(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ ورَسُولِهِ واتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (۱)، ففزعوا فى الأصول والفروع إلى على(ع) وعترته الطاهرة(عليهم السلام)، وانحازوا عن الطائفة الأخرى من الذين لم يتعبّدوا بنصوص الخلافة والولاية وزعامة العترة، حيث تركوا النصوص وأخذوا بآرائهم.

أخرج ابن عساكر عن جابربن‌عبدالله قال: كنّا عندالنبى صلّى الله عليه] وآله [وسلّم فأقبل على](ع) [فقال النبى صلّى‌الله عليه] وآله [و سلّم

«و الذى نفسى بيده إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة»

ونزلت(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) (۲) فكان أصحاب النبى صلّى الله عليه] و آله [و سلّم إذا أقبل على](ع) [قالوا: جاء خير البرية. (۳)

۱- حجرات: ۱.

۲- البيّنة: ۷.

۳- الدرّ المنثور للسيوطى: ۶/ ۵۸۹. آية ۷: بيّنة ومثلهما عن عائشة و ...

ص: ۱۱

و روی ابن حجر فی صواعقه عن امّ سلمة: کانت لیلتی، وکان النبی عندی فأتته فاطمة فتبعها علی- رضی الله عنهما- فقال النبی: یا علی أنت وأصحابک فی الجنّة، أنت وشیعتک فی الجنّة (۱).

و روی أحمد فی المناقب: أنّه قال لعلی: أما ترضی أنّک معی فی الجنّة والحسن والحسین وذریتنا خلف ظهورنا وأزواجنا خلف ذریتنا وشیعتنا عن أیماننا وشمائلنا. [ومثله] روی الطبرانی (۲).

و روی ابن حجر: أنّه مرّ علی علی جمع .... فقال(ع): شیعتنا هم العارفون بالله العاملون بأمرالله (۳).

و هذه النصوص المتظافرة الغنیة عن ملاحظة أسنادها تعرب عن کون علی(ع) متمیّزاً بین أصحاب النبی بأنّ له شیعة وأتباعاً ولهم مواصفات وصفات کانوا مشهورین بها فی حیاة النبی وبعدها.

فبعد هذه النصوص لایصحّ للباحث أن یلتجأ إلی فروض ظنّیة أو وهمیة فی تحدید تکوّن الشیعة وظهورها.

۱- الصواعق: ۱۶۱ ط قاهره. وأیضاً ۱۵۴.

۲- الصواعق: ۱۶۱.

۳- المصدر: ۱۵۴.

ص: ۱۲

الشيعة فی کلمات المؤرخين وأصحاب الفرق

قد غلب استعمال لفظ الشيعة بعد عصر الرسول(ص) تبعاً له فيمن يوالی علياً وأهل بيته ويعتقد بإمامته ووصايته، ويظهر ذلک من خلال کلمات المؤرّخين وأصحاب المقالات والتّی نشير إلی بعضها:

- روی المسعودی فی حوادث وفاة النبی(ص): أنّ الإمام علياً أقام ومن معه من شيعته فی منزله بعد أن تمّت البيعة أبی بکر. (۱)- وقال محمد بن أحمد بن خالدالبرقی(ت/ ۲۷۴ ه.): إنّ أصحاب علی ينقسمون إلی الأصحاب، ثم الأصفياء، ثمّ الأولياء، ثم شرطة الخميس ... ومن الأصفياء سلمان الفارسی والمقداد وأبوذر وعمّار وأبولیلی وشبير وأبوسنان وأبوعمرة وأبوسعيد الخدری وأبوبرزة وجابربن عبدالله والبراءبن‌عازب وطرفة الأزری. (۲)- وقال النوبختی(ت ۳۱۳ ه. ق): إنّ أوّل فرق الشيعة وهم فرقة علی بن أبی طالب، المسمّون شيعة علی فی زمان النبی صلّی الله عليه] و آله [و سلّم وبعده، معروفون بانقطاعهم إليه والقول بإمامته. (۳)

۱- الوصيّة للمسعودی: ۱۲۱ ط نجف.

۲- الرجال للبرقی: ۳(ط. تهران)، ولاحظ فهرست ابن النديم: ۲۶۳ ط. القاهرة وعبارته قريبة من عبارة البرقی.

۳- فرق الشيعة: ۱۵.

ص: ۱۳

هـذا كلّه يعرب عن أنّ لفيفـاً من الأمّـة فى حياة الرّسول وبعـده إلى عصـر الخلفاء وما تلاهم كانوا مشـهورين بالتشـيّع لعلى، وأنّ لفظة الشيعة ممّا نطق بها الرّسول وتبعته الأمّة فى ذلك، وما زال التشيع ينمو وينتشر بين المسلمين فى الأقطار المختلفة.

وإذا كان العنصـر المقوّم لإطلاق عبارة الشيعة هومشايعة على(ع) بعد النبى الأكرم(ص) فى الزعامة والوصاية أوّلًا، وفى الفعل والترك ثانياً فإنّه من غير المنطقى محاولة افتراض علّة اجتماعية أوسياسية أو كلامية لتكوّن هذه الفرقة.

روّاد التشيع فى عصر النبى (ص)

وسنقتصر فى حديثنا على إيراد جملة من أولئك الصحابة الذين اشتهروا بالتشيّع ونسبوا له: عبدالله بن عباس، عبدالله بن جعفر، عون بن جعفر، محمـد بن جعفر، من مشاهير بنى هاشم (۱) و أمّا غيرهم: سـلمان الفارسى، المقداد بن الأسود الكندى، أبوذرالغفارى، عماربن ياسـر، حذيفـة بن اليمـان، خزيمـة بن ثـابت، أبوأيوب الأنصـارى مضـيف النبى(ص)، سـعد بن عبـادة، عـدى بن حاتم، بلال بن رباح الحبشى، عثمان بن حنيف، حجر

۱- فى أصل الكتاب ۲۱ نفرات.

ص: ۱۴

ابن عدی، جابر بن عبدالله الأنصاری، محمد بن أبی بکر، زید بن صوحان (۱) و ...

الکتب المؤلّفة حول روّاد التشیّع

۱: صدرالدین السید علی المدنی الحسینی الشیرازی، توفی(۱۱۲۰ ق) .... «الدرجات الرفیعة فی طبقات الشیعة الإمامیة».

قام فی الباب الأوّل بترجمة ۲۳ صحابیاً من بنی هاشم لم یفارقوا علیاً قط، کما قام فی الباب الثانی بترجمة ۴۶ صحابیاً.

۲: ذکر الشیخ محمد حسین آل کاشف الغطاء فی کتابه «أصل الشیعة وأصولها» أسماء جماعة من الصحابه کانوا یشایعون علیاً فی حلّه وترحاله.

۳: کما أنّ الإمام السید عبدالحسین شرف الدین(۱۲۹۰- ۱۳۷۷ ق) قام بجمع أسماء الشیعة فی الصحابة حسب حروف الهجاء، ثم ابتدا بأبی رافع القبطی مولی رسول الله(ص) وختمهم بیزید بن حوثرة الأنصاری. وأنّه(رحمة الله) قد ذکر ما یربو علی المأتین من أسمائهم.

۴: قام الخطیب المصقع الدکتور الشیخ أحمد الوائلی بذکر

۱- إلی ۵۰ نفرات.

ص: ۱۵

أسماء روّاد التشيّع فى عصر الرسول فى كتابه «هوية التشيع» فجاء بأسماء مائة وثلاثين من خلّص أصحاب الإمام(ع) من الصحابة الكرام ....

۵) «الشخصيات الإسلامية» للشيخ جعفر السبحانى، طبع منه جزءان. والكتاب باللّغة الفارسية، ونقله إلى العربية الشيخ المحقق البارع جعفر الهادى، وطبع ونشر. وأخيراً فإنّ من أراد أن يقف بشكل جلى على روّاد التشيّع فى كتب الرجال لأهل السنّة .... يرجع إلى أمثال:

۱- الاستيعاب لابن عبدالبرّ(ت ۴۵۶ ه.)

۲- أسد الغابة للجزرى(ت ۶۰۶ ه.)

۳- الإصابة لابن حجر(ت ۸۵۲ ه.)

و غير ذلك من امّهات كتب الرّجال المعروفة.

الشيعة فى العصرين: الأموى والعباسى

الشيعة فى العصر الأموى

بعد أن لبّى الإمام على(ع) دعوة ربّه فى ليلة الحادى والعشرون من رمضان على يد أشقى الأوّلين والآخرين بويع بالخلافة ولده الامام الحسن(ع)، وكان أوّل من بايعه قيس بن

ص: ۱۶

سعـد الأنصارى ثمّ تتابع الناس على بيعته، بيـد أنّ الأمور لم تسـتقم للإمام الحسن(ع) لجملة من الأسـباب المعروفة، أهمّها تخاذل أهل العراق أوّلًا، وكون الشـيوخ الذين بايعوا علياً والتفّوا حوله كانوا من عبدة الغنائم والمناصب ولم يكن لهؤلاء نصـيب فى خلافة الحسـن ثانياً، وإنّ عدداً غير قليل ممّن بايع الحسن كانوا من المنافقين، يراسـلون معاوية بالسـمع والطاعة ثالثاً، كما أنّ قسماً من جيشه كانوا من الخوارج أوأبنائهم رابعاً، إلى غيرذلك من الأسباب الّتى دفعت الإمام إلى قبول الصلح مع معاوية.

و قد قام معاوية بتتبّع شيعة على وقتلهم، توالت المجازر تترى بعد معاوية إلى آخر عهد الدولة الأموية، فلم يكن للشيعة فى تلك الأيام نصـيب سوى القتـل والنفى والحرمـان حتى أنّ بقاء التشـيّع فى هـذه العصور المظلمـة كان معجزة من معاجزالله سـبحانه. وإليك بعض الوثائق من جرائم معاوية:

رسالة الإمام الحسين(ع) إلى معاوية:

«ألست قاتل حُجر وأصـحابه العابدين؟ إلى أن قال أولست قاتل الحضرمى؟ ... لاتردنّ هذه الامّة فى فتنةٍ، وإنّى أعلم لها فتنة أعظم من إمارتك عليها ... واتّق الله يا معاوية واعلم أنّ لله كتاباً لايغادر

ص: ۱۷

صغيرة ولاـكبيرة إلاـ أحصيها، واعلم أنّ الله ليس بناس لك قتلك بالظنّة وأخذك بالتهمة وإمارتك صبياً يشرب الشراب ويلعب بالكلاب، ما أراك إلا

قدأوبقت نفسك وأهلكت دينك وأضعت الرعية. والسّلام» (۱)

رسالة الإمام محمّد بن على الباقر(ع) لأحد أصحابه، حيث قال: إنّ رسول‌الله(ص) قبض وقد أخبر أنّا أولى الناس ... فنكثت بيعتنا ونصبت الحرب لنا، ولم يزل صاحب الأمر فى صعود كئود حتّى قُتل، فبويع الحسن(ع) ابنه وعوهد، ثمّ غُدِر به .... فوادع معاوية وحقن دمه ودماء أهل بيته .... ثمّ بايع الحسين(ع) من أهل العراق عشرون ألفاً ثم غَدَروا به وخرجوا عليه وبيعته فى أعناقهم وقتلوه. ثمّ لم نزل- أهل البيت(عليهم السلام) نستذلّ ونستضام ونُقْصى ونُمتهَنَ نُحرِم ونُقْتل ونَخاف ولانأمن على دمائنا ودماء أوليائنا ....

و روَوا عنّا مالم نَقُله ولم نَفْعله ليبغّضونا إلى النّاس، وكان عِظَم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن(ع)، فقتلت شيعتنا بكلّ بلدة وقطعت الأيدى والأرجل على الظِّنَة، وكان مَنْ يذكر بحبّنا والإنقطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو هدمت

۱- الإمامة والسياسة: ۱/ ۱۶۴، بحارالأنوار: ۴۴/ ۲۱۴ ۲۱۲.

ص: ۱۸

داره، ثمّ لم یزل البلاء یشتدّ ویزداد إلی زمان عبیدالله‌بن زیاد قاتل الحسین(ع) ثم جاء الحجّاج فقتلهم کلّ قتلهٔ ... (۱)»

کان زیاد جمع الناس بالکوفهٔ بباب قصره یحرّضهم علی لعن علی أو البراءهٔ منه، فملأ منهم المسجد والرحبهٔ، فمن أبی ذلک عرضه علی السّیف.» (۲)

بیان معاویهٔ إلی عمّاله:

روی أبوالحسن علی بن محمد أبی السّیف المدائنی فی کتاب «الأحداث»، قال: «کتب معاویهٔ نسخهٔ واحدهٔ إلی عمّاله بعد عام الجماعهٔ!!: «أن برأت الذّمهٔ ممّن روی شیئاً من فضل أبی تراب وأهل بیته» فقامت الخطباء فی کلّ کورهٔ وعلی کلّ منبر یلعنون علیاً ویبرأون منه ویقعون فیه وفی أهل بیته، فلم یکن بلد أشدّ بلاءً من العراق ولاسیما الکوفهٔ، فظهر حدیث کثیر موضوع وبهتان منتشر ومضی علی ذلک الفقهاء والقضاهٔ والولاهٔ حتّی انتقلت تلک الأخبار والأحادیث إلی أیدی الدیّانین الذین لایستحلّون الکذب والبهتان، فقبلوها ورووها، وهم یظنّون أنّها حقّ، ولو علموا أنّها باطلهٔ لما رووها ولاتدیّنوا بها.

۱- شرح نهج البلاغهٔ ابن أبی الحدید: ۱۱/ ۴۴- ۴۳.

۲- مروج الذهب: ۳/ ۲۶.

ص: ۱۹

و قال ابن أبى الحديد: فلم يزل الأمر كذلك حتّى مات الحسن بن على(عليهما السلام)، فازداد البلاء والفتنة، فلم يبق أحد من هذا القبيل [الشيعة] إلّا وهو خائف على دمه أو طريد فى الأرض. ثم تفاقم الأمر بعد قتل الحسين(ع) ووَلىَ عبدالملك بن مروان، فاشتدّ على الشيعة وولّى عليهم الحجّاج بن يوسف، فتقرّب إليه أهل النسك والصلاح والدّين ببغض على(ع) وموالاة أعدائه (۱)!»

ضحايا الغدر الأموى:

۱- حجر بن عدى الكندى سنة ۵۳ ه. ومعه تسعة نفر أصحابه من أهل الكوفة وأربعة من غيرها، قتله معاوية مع أصحابه فى مرج عذراء بصورة بشعة يندى لها الجبين.

۲- عمرو بن الحمق: ذلك الصحابى العظيم الذى وصفه الإمام الحسين(ع) سيدالشهداء بأنّه: «أبلت وجهه العبادة»؛ قتله معاوية بعد ما أعطاه الأمان.

۳- مالك الأشتر: ملك العرب وأحد أشرف رجالاتها وأبطالها، كان شهماً مطاعاً وكان قائد القوات العلوية، قتله معاوية بالسمّ فى مسيره إلى مصر بيد أحد عمّاله.

۱- شرح نهج البلاغة ابن أبى الحديد: ۱۱/ ۴۶.

ص: ۲۰

۴- رشيد الهجرى: كان من تلاميذ الإمام وخواصّه عرض عليه زيادٌ البراءة واللعن، فأبى، فقطع يديه ورجليه ولسانه وصَلَبه خنقاً فى عنقه.

۵- جويريهٔ بن مسهر العبدى: أخذه زياد وقطع يديه ورجليه وصَلَبه على جِذع نخلهٔ.

۶- قنبر مولى أميرالمؤمنين(ع): ... أن الحجّاج أمر به، فذبح كماتذبح الشاهٔ.

۷- كميل‌بن‌زياد: طلبه الحجاج فهرب منه، فحرم قومه عطاءهم، فاستسلم للحجاج، فلمّا رآهُ قال: إضربوا عنقه.

۸- سعيد بن جبير: تابعى معروف بالعفّهٔ والزهد والعبادهٔ، وكان يصلّى فى المحراب خلف الإمام زين العابدين(ع)، فلمّا رآه الحجاج أخذ ثم ضربت عنقه.

الشيعهٔ فى العصر العباسى

۱- كان أوّل من تولّى منهم أبوالعباس السفّاح: بويع سنهٔ ۱۳۲ ه. ومات سنهٔ ۱۳۶ ه. وهو وإن لم يتعرّض للعلويّين لكنّه تنكّر لهم ولشيعتهم.

۲- ثم جاء بعده أبوجعفرالمنصور(۱۵۸- ۱۳۶ ه.): أنّه أسرف كثيراً فى الظلم القوهٔ والإجرام بشكل ملفت للأنظار.

ص: ۲۱

ولیت شعری أین کان المؤرّخون وأصحاب الکلمات الصادقة المنصفة من هذه المواقف المخزیة التی تقشعرّ لها الأبدان وهم یتحدّثون عن هذا الرجل الذی ما آلوا یشیدون بذکره ویمجّدون بأعماله، وهلّا تأمّل القرّاء فی سیرة هذا الرجل لیدرکوا ذلک الخطأ الکبیر. أجل، لقد أسرف هذا الرجل فی القتل کثیراً، وکان للعلویین النصیب الأکبر وحصّة الأسد من هذا الظلم الکبیر.

۳- ثمّ ولی بعده المهدی ولدالمنصور وبقی فی الحکم من سنة ۱۵۸ ه. إلی سنة ۱۶۹ ه.، ویکفی فی الإشارة إلی ظلمه للعلویین أنّه أخذ علی بن العبّاس بن الحسن بن علی بن أبی طالب فسجنه، فدسَّ إلیه السمّ فتفسخ لحمه وتباینت أعضاؤه.

۴- ولما هلک المهدی بویع ولده الهادی وکانت خلافته سنة وثلاثة أشهر.

۵- ثمّ تولّی بعده الرشید سنة ۱۷۰ ه. ومات ۱۹۳ ه. الذی کان له سجلّ أسود فی تعامله مع الشیعة، تبلورت أوضح صوره فیما لاقاه منه الإمام موسی بن جعفر الکاظم(ع).

۶- ثمّ جاء بعده ابنه الأمین(۱۹۷- ۱۹۳ ه.) فتولّی الحکم أربع سنین وأشهراً. یقول أبوالفرج: کانت سیرة الأمین فی أمر آلِ أبی طالب خلاف من تقدّم لتشاغله بما کان فیه من اللهو ثمّ

ص: ۲۲

الحرب بينه وبين المأمون حتّى قتل، فلم يحدث على أحدٍ منهم فى أيامه حدث.

۷- وتولّى الحكم بعده المأمون(۲۱۰- ۱۹۷ ه.) وكان من أقوى الحكام العباسيين بعد أبيه الرشيد.

۸- مات المأمون سنة ۲۱۰ ه. وجاء إلى الحكم ابنه المعتصم.

۹- ثم تولّى الحكم بعد الواثق الذى قام بسجن الإمام محمد ابن على الجواد(ع) ودسّ له السمّ بمكيدة.

۱۰- وولى الحكم بعد الواثق، المتوكل: كان المتوكل شديدة الوطأة على آل أبى طالب غليظاً فى جماعتهم، شديد الغيظ والحقد عليهم وسوء الظنّ والتهمة لهم، وكان من ذلك أن كرب (۱) قبر الحسين(ع) وعفّى آثاره، ووضع على سائر الطرق مسالح له لايجدون أحداً زاره إلّا أتوه به وقتله أو أنهكه عقوبة. واستعمل على المدينة ومكة عمر بن الفرج، فمنع آل أبى طالب من التعرّض لمسألة النّاس ومنع النّاس من البرّ بهم حتّى كان القميص يكون بين جماعة من العلويّات يصلّين فيه واحدة بعد واحدة.

۱- الكرب: إثارة الأرض للزرع.

ص: ۲۳

۱۱- وولى بعده المنتصر ابنه، وظهر منه الميل إلى أهل البيت وخالف أباه، فلم يجر منه على أحد منهم قتل أو حبس أو مكروه فيما بلغنا، وأوّل ماأحدثه لمّا ولى الخلافة عزل صالح بن على عن المدينة، وبعث على بن الحسين مكانه.

۱۲- وقام بعده المستعين بالأمر، فنقض كلّ ما غزله المنتصر من البرّ والإحسان، ومن جرائمه أنّه قتل يحيى بن عمر بن الحسين(ع)، وأدخل الأسارى من أصحاب يحيى إلى بغداد، وكانوا يساقون وهم حفاة سوقاً عنيفاً، فمن تأخّر ضربت عنقه.

و قد وثّقت هذه الجرائم فى كتب التاريخ والأدب، من ذلك القصائد التالية:

۱- تائية دعبل الخزاعى الشهيد عام ۲۴۶ ه.

۲- ميمية الأمير أبى فراس الحمدانى ۳۲۰- ۳۵۷ ه.

۳- جيمية ابن الرومى التى رثى بها يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد.

نعم قد اقترن تاريخ الشيعة بأنواع الظلم والنكال والقتل والتشريد بحيث لم‌ير الأمويون ولاالعباسيون ولا الملوك الغزانوة ولاالسلاجقة ولا من أتى بعدهم أيّة حرمة لنفوسهم وأعراضهم وعلومهم ومكتباتهم.

ص: ۲۴

هذا هو طغرل بيك أول ملك من ملوك السلاجقة ورد بغداد سنة ۴۴۷ ه. وشنّ على الشيعة حملة شعواء، وأمر بإحراق مكتبة الشيعة الّتى أنشأها أبونصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة البويهى فى محلّة بين السورين فى الكرخ سنة ۳۸۱ على مثال بيت الحكمة الذى بناه هارون‌الرّشيد، وكانت من الأهمية العلمية بمكان حيث جمع فيما هذا الوزير ماتفرّق من كتب فارس والعراق واستكتب تآليف أهل الهند والصين والروم، كما قاله محمد كردعلى، ونافت الكتب على عشرة آلاف من جلائل الآثار ومهام الأسفار، واكثرها نسخ الأصل بخطوط المؤلّفين. وكان من جملتها مصاحف بخطّ ابن مقلة على ما ذكره ابن أثير.

و توسّعت الفتنة حتّى اتّهجت إلى شيخ الطائفة وأصحابه فأحرقوا كتبه وكرسيه الذى كان يجلس عليه للكلام، وهرب أبوجعفر الطوسى ونهبت داره.

و أخيراً فلعلّ القارئ الكريم إذا تأمّل بتدبّر فإنّه سيجد بوضوح أنّه قد تظافرت قوى الكفر والفسق على إهلاك الشيعة وقطع جذورهم، ومع ذلك قد كانت لهم دول ودويلات ومعاهد وكلّيات وبُلدان وحضارات وأعلام ومفاخر وعباقرة وفلاسفة

ص: ۲۵

وفقهاء ومحدّثون ووزراء وسياسيون، وهم يؤلّفون اليوم خُمس المسلمين أو رُبعهم، وقد قال سبحانه:(إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ) (۱)

فرضيات وهمية لنشأة التشيع

اشارة

أنه لافصل هنابين النشأتين: نشأة الإسلام ونشأة التشيع وأنّهما وجهان لعملة واحدة، إلّا أنّ هناك جماعة من المؤرّخين وكتّاب المقالات ممّن قادهم الوهم وسوء الفهم إلى اعتبار التشيّع أمراً حادثاً وطارئاً على المجتمع الإسلامى، فأخذوا يفتّشون عن مبدأه ومصدره، وأشدّ تلك الظّنون عدوانية فيه ما تلوكه أشداق بعض المتقدّمين والمتأخّرين هو كونه وليد «عبدالله‌بن‌سبأ» ذلك الرجل اليهودى، الذى بزعمهم طاف الشرق والغرب وأفسدالأمور على الخلفاء والمسلمين، وألّب الصحابة والتابعين على عثمان، فقتل فى عقر داره، ثمّ دعا إلى على(ع) بالإمامة والوصاية وإلى النبى بالرجعة وكوّن مذهباً باسم الشيعة!

و سوف نأتى على ذكر كل هذه الفرضية وغيرها من الفرضيات واحدة بعد الأُخرى مع رعاية التسلسل الزمنى:

۱- الأنفال: ۶۵.

ص: ۲۶

الفرضية الأولى: الشيعة ويوم السقيفة!

قال الطبرى: «اجتمع الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة ليبايعوا سعد بن عبادة، فبلغ ذلك أبابكر، فأتاهم ومعه عمر وأبوعبيدة بن الجرّاح، فقال: ما هذا؟! فقالوا: منّا أمير ومنكم أمير!

فقال أبوبكر: منّا الامراء ومنكم الوزراء- إلى أن قال- فبايعه عمر وبايعه الناس، فقالت الأنصار- أو بعض الأنصار- لانبايع إلّا علياً.»

و قال اليعقوبى فى تاريخه: ومالوا مع على بن أبى طالب، منهم العباس بن عبدالمطلب والفضل بن عباس والزبيربن العوام وخالد بن سعيد بن العاص والمقداد بن عمرو وسلمان الفارسى وأبوذرالغفارى وعمّار بن ياسر والبراء بن عازب وأبىّ بن كعب. وروى الزبير بن بكار فى الموفّقيات: إنّ عامّة المهاجرين وجلّ الأنصار كانوا لايشكون أنّ علياً هو صاحب الأمر.

من هنا إعتقد البعض أنّ مبدأ التشيّع ونشأته كان فى تلك اللحظات الحرجة فى تاريخ الإسلام، متناسين أنّ ما اعتمدوه فى بناء تصوّراتهم ما ينقضها ويثبت بطلانها. وممّا يؤكد ذلك ويقوى أركانه ما نقلته جميع مصادر الحديث المختلفة من نداءات رسول‌الله(ص) وتوصياته بحق على وعترته وشيعته فى اكثر من مناسبة ومكان و ...

ص: ۲۷

الفرضیة الثانیة: التشیّع صنیع عبدالله بن سبأ

اشارة

لنقرأ ما کتبه الطبری حول هذا الوهم المصطنع؛ قال: «إنّ یهودیاً باسم عبدالله بن سبأ المُکنّی بابن السوداء فی صنعاء أظهر الإسلام فی عصر عثمان واندسّ بین المسلمین مبشّراً بأنّ للنّبی الأکرم(ص) رجعهٔ کما أنّ لعیسی بن مریم رجعهٔ، وأنّ علیاً خاتم الأوصیاء کما أنّ محمداً(ص) خاتم الأنبیاء، وأنّ عثمان غاصب حقّ هذا الوصی وظالمه فیجب مناهضته لإرجاع الحقّ إلی أهله، فمال إلیه وتبعه علی ذلک جماعات من المسلمین، فیهم الصحابی الکبیر والتابعی الصالح. فجعلوا یکتبون إلی الأمصار بکتب یضعونها فی عیوب ولاتهم، فنتج عن ذلک قدومهم إلی المدینهٔ وحصرهم عثمان فی داره حتی قتل فیما کلّ ذلک کان بقیادهٔ السبأیین ومباشرتهم» (۱) هذا هو الذی ذکره الطبری، وقد أخذه من جاء بعده من المؤرّخین وکتّاب المقالات حقیقهٔ مسلّمهٔ، فصارت الشیعهٔ ولیدهٔ السبأیهٔ فی زعم هؤلاء عبرالقرون والأجیال، ومن الّذین وقعوا فی هذا الخطأ الفاحش دون فحص وتأمل فی حقایق الأمور:

۱- تاریخ الطبری: ۳/ ۳۷۸.

ص: ۲۸

۱- ابن الأثیر(ت ۶۳۰ ه.) ...

۲- ابن کثیرالشامی(ت ۷۷۴ ه.) فی «البدایة والنهایة»

۳- ابن خلدون(ت ۸۰۸ ه.) فی تاریخه «المبتدأ والخبر».

۴- محمد رشید رضا مؤسسة مجلة المنار(ت ۱۳۵۴ ه.) ذکره فی کتابه «السّنة والشیعة».

۵- أحمد أمین(ت ۱۳۷۲ ه.) فی کتابه «فجرالإسلام» عام انتشاره(۱۹۵۲ م).

و قد ردّ علیه أعلام العصر بأنواع الردود، فألّف الشیخ المصلح کاشف الغطاء «أصل الشّیعة وأصولها» ردّاً علیه کما ردّ علیه العلّامة الشیخ عبدالله السبیتی بکتاب أسماه «تحت رایة الحق».

۶- فرید وجدی مؤلّف دائرة المعارف(ت ۱۳۷۰ ه.).

۷- حسن إبراهیم حسن، وذکره فی کتابه «تاریخ الإسلام السّیاسی».

و أمّا المستشرقون المتطفّلون علی موائد المسلمین فحدّث عنهم ولاحرج، فمن أراد الوقوف علی کلماتهم فلیرجع إلی ما ألّفه الباحث الکبیر السّید مرتضی العسکری فی ذلک المجال (۱).

۱- عبدالله بن سبأ: ۱/ ۴۶- ۵۰.

ص: ۲۹

نظر المحقّقين فى الموضوع:

۱- إنّ ما جاء فى تاريخ الطبرى من القصّة على وجه لايصحّ نسبته إلا إلى عفاريت الأساطير ومردة الجنّ؛ إذ كيف يصح الإنسان أن يصدّق أنّ يهودياً جاء من صنعاء وأسلم فى عصر عثمان واستطاع أن يغرى كبار الصّحابة والتابعين ويخدعهم ويطوف فى البلاد ناشراً دعواه، بل واستطاع أن يكوّن خلايا ضدّ عثمان ويستقدمهم على المدينة ويؤلّبهم على الخلافة الإسلامية فيها جموا داره ويقتلوه بمرأى ومسمع من الصحابة العدول ومن تبعهم بإحسان؟! هذا شيء لا يحتمله العقل وإن وطّن على قبول العجائب والغرائب.

بل إنّ هذه القصّة تمسّ كرامة المسلمين والصحابة والتابعين وتصوّرهم أمّة ساذجة يغترّون بفكر يهودى وفيهم السادة والقادة والعلماء والمفكّرون!

۲- ... يقول العلّامة الأمينى: «لو كان ابن سبأ بلغ هذا المبلغ من إلقاح الفتن وشقّ عصا المسلمين وقدعلم به وبعبثه أمراء الأمّة وساستها فى البلاد وانتهى أمره إلى خليفة الوقت فلماذا لم يقع عليه الطلب ولم يبغله القبض عليه، والأخذ بتلكم الجنايات الخطيرة والتأديب بالضرب والإهانة والزّجّ إلى أعماق

ص: ۳۰

السـجون؟! ولا آل أمره إلى الإعدام المريح للأمّة من شرّه وفساده كما وقع ذلك كلّه على الصلحاء الأبرار الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر؟! ...» (۱) ۳- إنّ روايهٔ الطبرى عن أشخاص لايصحّ الاحتجاج بهم:

الف: السرى: إنّ «السرى» الذى يروى عنه الطبرى إنّما هو أحد رجلين:

۱- السرى بن إسماعيل الهمدانى الذى كذّبه يحيى بن سعيد وضعّفه غير واحد من الحفّاظ.

۲- السـرى بن عاصم بن سـهل الهمـدانى نزيل بغداد، المتوفّى عام ۲۵۸ ه.. كـذّبه ابن خراش ووهّاه بن عـدى وقال يسـرق الحديث و. فالاسم مشترك بين كذّابين لايهمّنا تعيين أحدهما.

واحتمال كونه السـرى بن يحيى الثقهٔ غير صحيح؛ لأنّه توفّى عام ۱۶۷ ه. مع أنّ الطبرى مواليد عام ۲۳۴ ه، فلا مناص أن يكون السرى أحد الرجلين الكذّابين.

ب: شعيب: والمراد منه شعيب بن إبراهيم الكوفى المجهول: قال ابن عدى ليس بمعروف.

ج: سيف بن عمر: قال ابن حيان: قالوا: إنّه كان يضع

۱- الغدير: ۹/ ۲۲۰- ۲۱۹.

ص: ۳۱

الحديث واتّهم بالزندقة. وقال ابن معين: ضعيف الحديث فليس خير منه. وقال السيوطى: وضّاع.

فإذا كان هذا حال السّند فكيف نعتمده فى تحليل نشوء طائفة كبيرة من طوائف المسلمين تؤلّف خُمسهم أو ربعهم، فالاعتماد خداع وضلال لايرتضيه العقل.

عبدالله بن سبأ اسطورة تاريخية:

إنّ القرائن والشواهد والاختلاف الموجود فى حق الرجل ومولده وزمن إسلامه ومحتوى دعوته يشرف المحقّق على القول بأنّ عبدالله بن سبأ أقرب ما يكون إلى الاسطورة منه إلى الواقع، وإنّ خصوم الشّيعه أيام الأمويين والعبّاسيين قد بالغوا فى أمر عبدالله بن سبأ هذا ليشكّكوا فى بعض ما نسب من الأحداث إلى عثمان ووُلاته، من ناحية، وليشنّعوا على على(ع) وشيعته من ناحية اخرى. إنّ الموارد التى يستنتج منها كون ابن سبأ شخصية وهمية خلقها خصوم الشّيعه، ترجع إلى الأمور التالية:

۱- إنّ المؤرّخين الثقات لم‌يشيروا فى مؤلّفاتهم إلى قصّة عبدالله بن سبأ كابن سعد فى طبقاته والبلاذرى فى فتوحاته.

ص: ۳۲

۲- إنّ المصدر الوحيد عنه هو سيف بن عمر، وهو رجل معلوم الكذب ومقطوع بأنّه وضّاع.

۳- إنّ الأمور التى نسبت إلى عبدالله بن سبأ تستلزم معجزات خارقة لاتتأتّى لبشر، كما تستلزم أن يكون المسلمون الذّين خدعهم فى منتهى البلاهة والسخف!

۴- عدم وجود تفسير مقنع لسكوت عثمان وعمّاله عنه مع ضربهم لغيره من المعارضين كمحمدبن أبى حذيفة ومحمد بن أبى بكر وعمّار بن ياسر، وأبى‌ذر الغفارى.

۵- قصّة إحراق على(ع) إياه وتعيين السنة التى عرض فيها ابن سبأ للإحراق تخلو منه كتب التاريخ الصحيحة، ولايوجد لها فى هذه الكتب أثر.

۶- عدم وجود أثر لابن سبأ وجماعته فى وقعة صفين وفى حرب النهروان. (۱) و يزيد الحقّ وضوحاً أنّنا إذا راجعنا كتب الشيعة نرى أنّ أئمتهم وعلمائهم يتبرّأون منه أشدّ التّبرؤ.

قال الكشّى وهو من علماء القرن الرابع: «عبدالله بن سبأ كان يدّعى النبوّة وأنّ علياً هو الله! فاستتابه ثلاثة أيام فلم

۱- الفتنة الكبرى، دكتور طه حسين: ۱۳۴.

ص: ۳۳

یرجع فأحرقه فی النار فی جملهٔ سبعین رجلًا» (۱) و مثله الشیخ الطوسی(۳۸۵ - ۴۶۰ ه.). والعلّامهٔ الحلّی(۶۴۸ - ۷۲۶ ه.) وابن داود(۶۴۷ - ۷۰۷ ه.) والشیخ حسن بن زین الدّین(۶۴۸ - ۱۰۱۱ ه.) وأمّا ما نقله عنه سیف بن عمر فلیس منه أثر فی تلک الروایات. وأین هذا الأفّاک وزمرته من اولئک الذین لایخالفون الله ورسوله وأولی الأمر ولایتخلّفون عن أوامرهم قید أنملهٔ کالمقداد وسلمان.

الفرضیهٔ الثالثهٔ: التشیّع فارسی المنشأ

اشارهٔ

و هناک فرضیهٔ ثالثهٔ اخترعها المستشرقون لتکوّن مذهب الشیعهٔ فی المجتمع الإسلامی تقول ب- أنّ للمذهب الشیعی نزعهٔ فارسیهٔ؛ لأنّ العرب کانت تدین بالحرّیهٔ والفرس تدین بالملک والوراثهٔ، ولایعرفون معنی الانتخاب ولمّا انتقل النبی إلی دارالبقاء ولم یترک ولداً، قالوا: علی أولی بالخلافهٔ من بعده. وهذا التصوّر مردود لجملهٔ واسعهٔ من البدیهیات، منها:

أوّلًا: أنّ التشیع حسبما عرفت ظهر فی عصر النبی الأکرم(ص)، وروّاد التشیع فی عصر الرسول والوصی کانوا کلّهم

۱- رجال کشی: ۹/ ۸۴.

ص: ۳۴

عرباً، ولم يكن بينهم أىّ فارسى سوى سلمان المحمدى(ص). ثمّ إنّ الفرس لم يكونوا الوحيدين ممّن اعتنقوا هذا المذهب دون غيرهم، بل اعتنقه الأتراك والهنود وغيرهم من العرب.

شهادة المستشرقين على أنّ التشيّع عربى المبدأ

۱- قال الدّكتور أحمد أمين: الذى أرى كما يدلّنا التاريخ أنّ التشيّع لعلى(ع) بدأ قبل دخول الفرس إلى الإسلام.

۲- وقال المستشرق فلهوزن: كان جميع سكان العراق فى عهد معاوية- خصوصاً أهل الكوفة- شيعة، ولم يقتصر هذا على الأفراد، بل شمل القبائل ورؤساء العرب.

۳- وقال المستشرق جولد تسيهر: هذا الوهم الشائع مبنى على سوء فهم الحوادث التاريخية، فالحركة العلوية نشأت فى أرض عربيه بحتة.

۴- وأما المستشرق آدم متز فإنّه قال: قد كانت جزيرة العرب شيعة كلّها عدا المدن الكبرى مثل مكة وتهامة وصنعاء، وكان للشيعة غلبة فى بعض المدن. مثل عمان، وهجروصعدة، أمّا إيران فكانت كلّها سنّة ما عدا قم، وكان أهل إصفهان يغالون فى معاوية حتى اعتقد بعض أهلها أنّه نبى مرسل.

ص: ۳۵

۵- يقول الشيخ أبوزهرة: أنّ الفرس تشيّعوا على أيدى العرب، وليس التشيّع مخلوقاً لهم، ويضيف: وأمّا فارس وخراسان وما راءهما من بلدان الإسلام فقد هاجر إليها كثيرون من علماء الإسلام الّذين كانوا يتشيّعون فراراً بعقيدتهم من الأمويين أوّلًا، ثمّ العباسيين ثانياً، وأنّ التشيّع كان منتشراً فى هذا البلاد انتشاراً عظيماً قبل سقوط الدولۀ الأمويۀ بفرار أتباع زيد ومن قبله إليها.

۶- وقال السيد الأمين: أنّ الفرس الّذين دخلوا الإسلام لم يكونوا شيعۀ فى أوّل الأمر إلا القليل، وجلّ علماء السّنۀ وأجلّائهم من الفرس كالبخارى والترمذى والنسائى وابن ماجۀ والحاكم النيسابورى والبيهقى وهكذا غيرهم ممّن أتوا فى الطبقۀ التاليۀ.

الفرضيۀ الرابعۀ: التشيّع فارسى المنحى

والفرق بين هذه الفرضيۀ وسابقتها أنّ هذه النظريۀ وإن كانت تعترف بأنّ التشيّع عربى المولد والمنشأ ولكنّها تدّعى أنّه اصطبغ بصبغۀ فارسيۀ بعد دخول الفرس فى الإسلام، وهذا هو الذى اختاره الدكتور أحمد أمين كما عرفت ولفيف من المستشرقين ك-

ص: ۳۶

«فلهوزن» فيما ذهبوا إليه فى تفسير نشأة التشيع.

و هذا ما يصرّح به الدكتور أحمد أمين فى قوله: أنّ الفكر الفارسى استولى على التشيّع، والمقصود من الاستيلاء هو جعل الخلافة أمراً وراثياً كما كان الأمر كذلك بين الفرس فى عهد ملوك بنى ساسان وغيرهم.

إلّا أنّه يلاحظ عليه: أنّ كون الحكم والملك أمراً وراثياً لم يكن من خصائص الفرس، بل إنّ النظام السائد بين ملوك الحيرة وغسّان وحمير فى العراق والشام واليمن كان هوالوراثة.

كما أنّ المناصب المعروفة لدى قريش من السقاية والرفادة وعمارة المسجد الحرام والسدانة كانت أموراً وراثية حتّى أنّ النبى الأكرم(ص) لم يغيّرها، بل إنّه أمضاها كما فى قضية رفعه لمفاتيح البيت إلى بنى‌شيبة وإقرارهم على منصبهم هذا إلى الأبد!، فإلصاق مسألة الوراثة بالفرس دون غيرهم أمرٌ عجيب لا يقرّه العقلاء مع كونها آنذاك فكرة عامة عالمية؟!

إنّ النبوّة والوصاية من الأمور الوارثية فى الشرائع السماوية، لا بمعنى أنّ الوراثة هى الملاك المعيّن، بل بمعنى أنّه سبحانه جعل نورالنبوّة والإمامة فى بيوتات خاصّة، فكان يتوارث نبى نبياً ووصى وصياً يقول سبحانه: «ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم

ص: ۳۷

وجعلنا فی ذریتهما النبوّة والکتاب» (۱).

ثمّ إنّ من زعم أنّ التشیّع من صنع الفرس مبدأ وصبغة فهو جاهل بتاریخ الفرس؛ وذلک لأنّ التسنّن کان هو السائد فیهم إلی أوائل القرن العاشر! حتی غلب علیهم التشیّع فی عصر الصفویین ۹۰۵ ه، نعم کانت مدن ری وقم وکاشان معقل التشیّع، ومع ذلک یقول أبوزهرة: إنّ أکثر أهل فارس إلی الآن من الشیعة، وإنّ الشیعة الأوّلین کانوا من الفرس؟! ...

الفرضیه الخامسة: الشیعة ویوم الجمل

ذکر ابن الندیم فی الفهرست: أنّ علیاً قصد طلحة والزبیر لیقاتلهما حتی یفیئا إلی أمرالله جلّ اسمه، وتسمی من اتّبعه علی ذلک الشیعة ...»

و علی ذلک جری المستشرق «فلهوزن» حیث یقول: بمقتل عثمان انقسم الإسلام إلی فئتین: حزب علی(ع) وحزب معاویة، و «الحزب» یطلق علیه فی العربیة اسم «الشیعة»! فکانت شیعة علی(ع) فی مقابل شیعة معاویة، لکن لمّا تولّی معاویة الملک فی دولة الإسلام أصبح استعمال لفظة «شیعة»

۱- حدید: ۲۶، وأیضاً: بقره: ۱۲۴، النساء: ۵۴.

ص: ۳۸

مقصوداً بها أتباع على(ع)؟!

لكن ما تلونا عليك من النّصوص الدالّة على وجود التشيّع فى عصر الرسول(ص) وظهوره بشكل جلى بعد وفاته، وهذا كان قبل أن تشُبّ نار الحرب فى البصرة، وهذا دليل على وهن هذا الرأى.

الفرضيۀ السادسۀ: الشيعۀ ويوم صفين

زعم بعض المستشرقين (۱) أنّ الشيعة تكوّنت يوم افترق جيش على(ع) فى مسألة التحكيم إلى فرقتين.

لكن الثابت هو أنّ ليس جميع من كان فى جيشه من شيعته بالمعنى المفروض والواقعى للتشيّع، بل أغلب من انخرط فى ذلك الجيش كانوا تابعين له؛ لأنّه خليفة لهم وقد بايعوه على ذلك.

الفرضيۀ السابعۀ: الشّيعۀ والبويهيون

تقلّد آل بويه مقاليد الحكم والسلطة من عام ۳۲۰ ه. إلى ۴۴۷ ه.، فكانت لهم السلطة فى العراق وبعض بلاد إيران كفارس وكرمان وبلاد الجبل وهمدان وإصفهان والرىّ، وقد اقصوا عن الحكم فى الأخير بهجوم الغزاونة عليهم عام ۴۲۰ ه.

۱- تاريخ الإماميّة: للدكتور عبدالله فياض: ۳۷.

ص: ۳۹

راج مذهب الشيعۀ فی عصرهم واستنشق رجالاته نسيم الحريۀ بعد أن تحمّلوا الظلم والاضطهاد طيلۀ حكم العباسيين خصوصاً فی عهد المتوكل ومن بعده، غير أنّ تكوّن الشيعۀ فی أيامهم شیء وكونهم مروّجين ومعاضدين له شیءٌ آخر، ومن السذاجۀ بمكان الخلط بين الحالين وعدم التمييز بينهما.

الفرضيۀ الثامنۀ: الشيعۀ والصفّويون

إنّ الصفويين هم اسرۀ الشيخ صفی‌الدين العارف المشهور فی أردبيل المتوّفی عام ۷۳۵ ه. فعند ما انقرضت دولۀ المغول قام أحد أحفاد صفی‌الدين الشاه إسماعيل عام ۹۰۵ ه. بتسلّم مقاليد الحكم والسيطرۀ على بلاد فارس.

و استمرّ فی الحكم إلى عام ۹۳۰ ه. ثم ورثه أولاده إلى أن أُقصوا عن الحكم بسيطرۀ الأفاغنۀ على إيران عام ۱۱۳۵ ه. ومن وقف على أحوالهم ووقف على تاريخ الشيعۀ يقف على أنّ عصرهم كان عصر ازدهار التشيّع، وهو أمر لامراء فيه، وليس هو عصر تكوّن التشيّع، فهذا ما لايقنع به إلا السذج والجهلاء.

فلا مريۀ من القول بخطأ كل الافتراضات السابقۀ وعدم

ص: ۴۰

حجّيتها فى محاولـۀ تثبيت كون التشـيّع ظاهرۀ طارئـۀ على الإسـلام، وإنّما هو نفس الإسـلام فى إطار ثبوت القيادۀ لعلى(ع) بعـد رحلۀ النبى(ص) بتنصيصه.

و قد شاركـ الشـيعۀ جميع المسـلمين فى بناء الحضارۀ الإسـلاميۀ بجوانبها المختلفۀ، يتفقون مع جميع الفرق فى أكثر الأصول والفروع وإن اختلفوا معهم فى بعضها كاختلاف بعض الفرق مع بعضها الآخر. وسيوافيكـ تفصيل عقائدهم فى مبحث خاصّ بإذن الله.

ص: ۴۱

الفصل الثانی: الأئمّة الإثنا عشر

اشارة

تعرف الشیعة الإمامیة بالفرقة الإثنی عشریة، ومبعث هذه التسمیة هو اعتقادهم بإثنی عشر إماماً من بنی هاشم نصّ علیهم رسول الله(ص) کما هو معلوم للجمیع، ثمّ نصّ کلّ إمام علی الإمام الّذی بعده، بشکل یخلو من الشک والإبهام.

لقد تضافر عن رسول الله(ص) أنّه یملک هذه الأمّة إثنا عشر خلیفة کعدد نقباء بنی إسرائیل، وإنّ هذه الروایات مع ما فیها من المواصفات لاتنطبق إلّا علی أئمّة الشّیعة والعترة الطاهرة، فیلزم علینا معرفتهم، کیف وهم أحد الثقلین اللّذین ترکهما الرّسول(ص) قدوة للأمّة ونوراً علی جبین الدّهر.

ومن وقف علی حیاتهم العلمیة والاجتماعیة والسیاسیة یقف

ص: ۴۲

على أنّهم هم المثل الأعلى فى الأخلاق والقمّة الساقمة فى العلم والعمل والتّقوى والإحاطة بالقرآن والسّنة، وبهم حفظ الله تعالى دينه وأعزّ رسالته.

إلامام الأوّل: «أميرالمؤمنين على بن أبى طالب ٧»

اشارة

إنّ الإمام على بن أبى طالب أشهر من أن يعرّف، ولقد قام لفيف من السنّة والشيعة بتأليف كتب وموسوعات فى حياته ومناقبه وفضائله وجهاده وعلومه وخطبه وقصار كلماته وسياسته وحروبه مع الناكثين [الطلحة والزبير وأعوانها] والقاسطين [المعاوية وأعوانه] والمارقين [الخوارج]، فالأولى لنا الإكتفاء بالميسور فى هذا المجال.

تنصيب على (ع) للإمامة

لاشكّ فى أنّ الدين الإسلامى دين عالمى وشريعة خاتمة، وقد كانت قيادة الأمّة الإسلامية من شؤون النبى الأكرم(ص) ما دام على قيد الحياة، وطبع الحال يقتضى أن يوكل مقام القيادة بعده إلى أفضل أفراد الأمّة وأكملهم.

إنّ فى هذا المسألة وهى أنّ منصب القيادة بعد النبى(ص) هل هو منصب تنصيصى تعيينى أو أنّه منصب انتخابى اتّجاهين:

ص: ۴۳

فالشيعة ترى أنّ مقام القيادة منصب تنصيصى ولابدّ أن ينصّ على خليفة النبى(ص) من السماء، بينما يرى أهل السنّة أنّ هذا المنصب انتخابى جمهورى! أى إنّ على الأمّة أن تقوم بعد النبى(ص) باختيار فرد من أفرادها لإدارة البلاد!

إنّ تقسيم الأوضاع السياسية داخل المنطقة الإسلامية وخارجها فى عصر الرسالة يقضى بأنّ خليفة النبى(ص) لابدّ أن يعيّن من جانب الله تعالى ولايصحّ أن يوكل هذا إلى الأمّة؛ فإنّ المجتمع الإسلامى كان مهدّداً على الدوام بالخطر الثلاثى(الروم- الفرس- المنافقون) بشنّ الهجوم الكاسح وإلقاء بذور الفساد والاختلاف بين المسلمين.

كما أنّ مصالح الامّة كانت توجب أن تتوحّد صفوف المسلمين فى مواجهة الخطر الخارجى، وذلك بتعيين قائد سياسى من بعده، وبذلك يسدّ الطريق على نفوذ العدوّ فى جسم الامّة الإسلامية والسيطرة عليها وعلى مصيرها.

إنّ المحاسبات الاجتماعية تقول: إنّه كان من الواجب أن يتمتّع رسول(ص) الإسلام بتعيين قائد للأمّة، وإنّ تحصين الامّة لم يكن ليتحقق إلّا بتعيين قائد للأمّة وعدم ترك الأمور للأقدار، ولعلّه لهذه الجهة ولجهات اخرى طرح رسول الإسلام(ص) مسألة

ص: ۴۴

الخلافة فی الأیام الاولی من میلاد الرسالة الإسلامیة، وظلّ یواصل طرحها والتذکیر بها طوال حیاته حتّی الساعات الأخیرة منها، حیث عیّن خلیفته ونصّ علیه بالنصّ القاطع الواضح الصریح فی بدء دعوته ب- «حدیث یوم الدّار» و «حدیث بدء الدعوة» وفی نهایتها أیضاً ب- «حدیث الغدیر».

شذرات من فضائله

یطیب لی أن أشیر إلی بعض خصائصه قیاماً ببعض الوظیفة تجاه ما له من الحقوق علی الإسلام والمسلمین عامّة، فنقول: إنّ له خصائص لم یشارکه فیها أحد:

۱- ولادته فی جوف الکعبة.

۲- احتضان النبی الأکرم(ص) له منذ صغره.

۳- سبقه الجمیع فی الإسلام.

۴- مؤاخاة النبی(ص) له من دون باقی الصحابة.

۵- حمله من قِبل النبی(ص) علی کتفه لطرح الأصنام الموضوعة فی الکعبة.

۶- استمرار ذرّیة رسول الله(ص) من صلبه.

۷- یصاق النبی(ص) فی عینیه یوم خیبر ودعاؤه له بأن لایصیبه حرّ ولا قرّ.

ص: ۴۵

۸- إنّ حبّه إیمان وبغضه نفاق.

۹- إنّ النبی(ص) باهل النصاری به وبزوجته وأولاده دون سائرالأصحاب.

۱۰- تبلیغه سورة براءة، عن النبی(ص).

۱۱- إنّ النبی(ص) خصّه یوم الغدیر بالولایة.

۱۲- إنّه القائل «سلونی قبل أن تفقدونی».

۱۳- إنّ النبی(ص) خصّه بتغسیله وتجهیزه والصلاة علیه.

۱۴- إنّ الناس جمیعاً من أرباب الأدیان وغیرهم ینظرون إلیه کأعظم رجل عرفه التاریخ.

۱۵- إیثاره للنبی(ص) علی نفسه فی لیلة المبیت.

الإمام الثانی: «أبو محمد الحسن بن علی المجتبی ۸»

اشارة

هو ثانی أئمّة أهل البیت الطاهر وأوّل السبطین وأحد سیدی شباب أهل الجنّة وریحانة رسول الله(ص) وأحد الخمسة من أصحاب الکساء، امّه فاطمة بنت رسول الله(ص) سیدة نساء العالمین.

ولد فی المدینة لیلة النصف من شهر رمضان سنة ثلاث أو اثنتین من الهجرة، وهو أوّل أولاد علی(ع) وفاطمة ۳. وروی

ص: ۴۶

عن أنس بن مالك قال: لم يكن أحد أشبه برسول الله(ص) من الحسن بن على(ع).

و يكفى فى إثبات إمامته ما صرّح به النبى(ص) من قوله: «هذان ابناى إمامان قاما أو قعدا».

قال المفيد: «كانت بيعته يوم الجمعة الحادى والعشرون من شهر رمضان سنة أربعين من الهجره، فرتّب العمّال وأمّر الأمراء وأنفذ عبدالله بن العبّاس إلى البصرة، ونظر فى الأمور، فلّما بلغ معاوية وفاة أميرالمؤمنين وبيعة النّاس ابنه الحسن، دسّ رجلًا من حمير إلى الكوفة ورجلًا من بنى العين إلى البصرة ليكتبا إليه بالأخبار وليفسدا على الحسن(ع) الأمور. فعرف ذلك الحسن فأمر باستخراج الحميرى من عند لحّام فى الكوفة، فأخرج وأمر بضرب عنقه وكتب إلى البصرة باستخراج القينى من بنى سليم، فأخرج وضربت عنقه.

ثمّ إنّه استمرّت المراسلات بين الحسن(ع) ومعاوية وانجزّت إلى حوادث مريرة إلى أن أدّت إلى الصلح، واضطرّ إلى التنازل عن الخلافة.

شهادته ودفنه (ع):

لمّا نقض معاوية عهده مع الإمام الحسن(ع)، وما كان ذلك

ص: ۴۷

بغريب على رجل أبوه أبوسفيان وامّه هند وهو طليق ابن طلقاء عمد إلى أخذ البيعة ليزيد ولده المشهور بمجونه وتهتّكه وزندقته، وما كان شى ء أثقل عليه من أمر الحسن بن على(ع) فدسّ إليه السمّ، فاستشهد بسببه. ومضوا به من جانب روضة رسول الله(ص) إلى البقيع، ودفنوه عند جدّته فاطمة بنت أسد.

و استشهد الحسن(ع) وله من العمر ۴۷ عاماً، وكانت سنة استشهاده ۵۰ من الهجرة النبوية، ولمّا بلغ معاوية موت الحسن(ع) سجد وسجد من حوله! وكبّر وكبّروا معه!

الإمام الثالث: «أبوعبدالله الحسين بن على ٨ سيدالشهداءِ»

هو ثالث أئمّة أهل البيت الطاهر وثانى السبطين وسيدى شباب أهل الجنّة وريحانتى المصطفى(ص) وأحد الخمسة أصحاب الكساء(عليهم السلام) وسيدالشّهداء(ع)، أمّه فاطمة بنت رسول الله(ص).

ولد فى المدينة المنوّرة فى الثالث من شعبان سنة ثلاث أو أربع من الهجرة، ولمّا استشهد أخوه الحسن فى السنة الخمسين من الهجرة أوصى إليه بالإمامة فاجتمعت الشيعة حوله، يرجعون إليه فى حلّهم وترحالهم، وكان لمعاوية عيون فى المدينة يكتبون إليه ما يكون من الأحداث المهمة التى لا توافق هوى

ص: ۴۸

السلطة الأموية المنحرفة.

و لمّا هلك معاوية فى منتصف رجب سنة ۶۰ هجرية كتب يزيد إلى الوليدبن عُتبة والى المدينة أن يأخذ الحسين(ع) بالبيعة له.

فاسترجع الحسين(ع) وقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، وعلى الإسلام السّلام إذا بليت الأمّة براع مثل يزيد ... وقد سمعتُ جدّى رسول الله(ص) يقول: «الخلافة محرّمة على آل أبى سفيان الطلقاء وأبناء الطلقاء، فإذا رأيتم معاوية على منبرى فأبقروا بطنه» ولقد رآه أهل المدينة على منبر رسول‌الله(ص) فلم يفعلوا به ما أمروا، فابتلاهم بابنه يزيد.». ثمّ إنّ الحسين(ع) غادرالمدينة إلى مكة، ولمّا بلغ أهل الكوفة هلاك معاوية اجتمعت الشيعة فى منزل سليمان بن صرد فاتّفقوا أن يكتبوا إلى الحسين(ع) رسائل وينفذوا رسلًا طالبين منه القدوم إليهم.

و لما جاءت رسائل أهل الكوفة تترى على الحسين(ع)، أرسل ابن عمّه مسلم بن عقيل- رضوان الله عليه- إلى الكوفة ممثّلًا عنه لأخذ البيعة له منهم وللتحقّق من جدّية هذا الأمر، ثمّ خرج الإمام من مكة متوجّهاً إلى الكوفة يوم التروية أو يوماً قبله مع أهل بيته وجماعة من أصحابه وشيعته بعد إقامته فى

ص: ۴۹

مكة بأربعة أشهر.

و لمّا أخذ الإمام يقترب من الكوفه استقبله الحرّ بن يزيد الرياحى بألف فارس مبعوثاً من الوالى عبيدالله بن زياد لاستقدامه وإكراهه على إعطاء البيعة ليزيد وإرساله قهراً إلى الكوفة.

و كان الإمام الحسين(ع) يدرك قطعاً أنّه يصبح شهيداً إلّا أنه أراد يسقى بدمائه الطاهرة المقدّسة شجرة الإسلام الوارفة التى يريد الأمويون اقتلاعها من جذورها؛ كما أنّ الإمام أراد أن يكسر حاجز الخوف الذى أصاب الأمّة فجعلها حائرة متردّدة أمام طغيان الجبابرة وحكام الجور وأن تصبح ثورته مدرسة تتعلّم منها الأجيال معنى البطولة والتضحية من أجل المبادئ والعقائد، وقد تحقّق كلّ ذلك بعد استشهاد الإمام(ع)، والتاريخ خير شاهد على ذلك.

ثمّ إنّه كان لشهادة الحسين(ع) أثر كبير فى إيقاظ شعور الأمّة وتشجيعها على الثّورة، فلا مغالاة فى قول من قال: إنّ الإسلام محمّدى الحدوث، حسينى البقاء والخلود.

لقد استشهد يوم الجمعة لعشر خلون من المحرّم سنة ۶۱ من الهجرة وقيل يوم السبت، وكان قد أدرك من حياة النبى

ص: ۵۰

الأكرم(ص) خمس أو ستّ سنوات، وعاش مع أبيه ۳۶ سنة ومع أخيه ۴۶ سنة، فسلام الله عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً.

الإمام الرابع: «على بن الحسين بن على زين العابدين (ع)»

هو رابع أئمّة أهل البيت الطاهر، المشهور بزين‌العابدين أو سيدهم والسجّاد وذى الثفنات. ولد فى المدينة سنة ۳۷ أو ۳۸ ه، ولقد تولّى الإمامة بعد استشهاد أبيه الحسين(ع) فى كربلاء.

و أمّا ثروته العلمية والعرفانية فهى أدعيته التى رواها المحدّثون بأسانيدهم المتضافرة والتى جمعت بما سمّى «بالصحيفة السجّادية» المنتشرة فى العالم، فهى زبور آل محمد(ص) وحرّى بنا القول إنّ أدعيته(ع) كانت ذات وجهين: وجه عبادى وآخر اجتماعى يتّسق مع مسارالحركة الإصلاحية الّتى قادها الإمام(ع) فى ذلك الظرف الصعب، فهو صاحب مدرسة إلهية تارة يعلّم المؤمن كيف يمجّدالله ويقدّسه وكيف يلج باب التوبة، واخرى يسلك به درب التعامل السليم مع المجتمع فيعلّمه أُسلوب البرّ بالوالدين ويشرح حقوق الوالد والولد والأهل

ص: ٥١

والأصدقاء والجيران ثمّ يبيّن فاضل الأعمال وما يجب أن يلتزم به المسلم فى سلوكه الاجتماعى، كلّ ذلك بأسلوب تعليمى رائع وبليغ مستلهماً جوانبها من سيرة الأنبياء وسنن المرسلين، وللإمام على بن الحسين(ع) رسالة معروفة باسم رسالة الحقوق، وهى من جلائل الرسائل فى أنواع الحقوق.

استشهد بالمدينة عام ٩۴ أو ٩۵ ه. يوم السبت الثانى عشر من محرّم وقيل الخامس والعشرين منه.

الإمام الخامس: «أبوجعفر محمد بن على الباقر ٨»

هو خامس أئمّة أهل البيت الطاهر، المعروف بالباقر، وقد اشتهر به لبقره العلم وتفجيره له، ولد بالمدينة غرّة رجب سنة ۵٧ ه. وقيل ۵۶ ه، واستشهد فى السابع من ذىالحجّة سنة ١١۴ ه. وعمره الشريف ۵٧ سنة، عاش مع جدّه الحسين(ع) ۴ سنين ومع أبيه(ع) بعد جدّه(ع) ٣٩ سنة، وكانت مدة إمامته(ع) ١٨ سنة.

روى عنه معالم الدّين بقية الصحابة ووجوه التابعين وفقهاء المسلمين، وسارت بذكر كلامه الأخبار وأنشدّت فى مدائحه الأشعار. وأمّا مناظراته مع المخالفين فحدّث عنها ولاحرج، وقد

ص: ۵۲

جمعها العلّامة الطبرسی فی کتاب الاحتجاج.

ثمّ إنّ الشیعة الإمامیة أخذت کثیراً من الأحکام الشرعیة عنه(ع) وعن ولده البار جعفر الصادق(ع)، حیث روی عنه(ع) الکثیر من الروایات الفقهیة التی تناولت مختلف جوانب الحیاة. وأمّا ما روی عنه فی الحِکم والمواعظ فقد نقلها أبو نعیم الأصفهانی فی حلیة الأولیاء والحسن بن شعبة الحرّانی فی تحفه.

و قد استشهد الإمام محمّد الباقر(ع) عام ۱۱۴ ه، ودفن فی البقیع إلی جنب قبر أبیه.

الإمام السادس: «أبوعبدالله جعفر بن‌محمّدالصادق ۸»

هو الإمام السادس من أئمّة أهل البیت الطاهر(علیهم السلام)، ولقّب بالصادق لصدقه فی مقاله، وفضله أشهر من أن یذکر. ولد عام ۸۰ ه، واستشهد عام ۱۴۸ ه، ودفن فی البقیع جنب قبر أبیه محمّد الباقر(ع) وجدّه علی بن الحسین(ع) وعمّ جدّه الحسن بن علی(ع).

نقل عنه الحدیث واستفاد منه العلم جماعة من أعیان الأئمّة وأعلامهم، مثل یحیی بن سعید الأنصاری وابن جریح ومالک بن أنس والثوری وابن عیینة وابوحنیفة وشعبة وأبو أیوب

ص: ۵۳

السجستانی وغیرهم، وعدّوا أخذهم عنه منقبة شرّفوا بها وفضیلة اکتسبوها.

و إنّک إذا تتّبعت کتب التاریخ والتراجم والسیر تقف علی اتّفاق الأمّة علی إمامته فی العلم والقیادة الروحیة وإن اختلفوا فی کونه إماماً منصوصاً من قبل الله عزّوجلّ، فذهبت الشیعة إلی الثانی نظراً إلی النصوص المتواترة المذکورة فی مظانّها.

و لقد امتدّ عصر الإمام الصادق(ع) من آخر خلافة عبدالملک بن مروان إلی وسط خلافة المنصور الدوانیقی، وقضی سنوات عمره الأولی حتّی الحادیة عشرة من عمره مع جدّه زین العابدین وحتّی الثانیة والثلاثین مع أبیه الباقر(ع)، فاختصّ بعد استشهاد أبیه بالزعامة سنة ۱۱۴. ه.، واتّسمت مدرسته بنشاط الحرکة العلمیة فی المدینة ومکة والکوفة وغیرها من الأقطار الإسلامیة.

و قد اتّسم العصر المذکور الذی عاشه الإمام(ع) بظهور الحرکات الفکریة ووفود الآراء الاعتقادیة الغریبة إلی المجتمع الإسلامی، وأهمها هی حرکة الغلاة الهدّامة، فکانوا یبثّون الأحادیث الکاذبة ویسندونها إلی حملة العلم من آل محمد(علیهم السلام) لیغروا بها العامّة، فکان المغیرة بن سعید یدّعی الاتصال بأبی

ص: ۵۴

جعفر الباقر(ع) ویروی عنه الأحادیث المکذوبة، فأعلن الإمام الصادق(ع) کذبه والبراءة منه.

ثمّ إنّ الإمام قام بهدایة الامّة إلی النهج الصواب، وتربّی علی یدیه آلاف من المحدّثین والفقهاء، فکانوا أربعة آلاف رجل؛ فإنّ الإمام کان بحقّ سفینة النّجاة من هذا المعترک العسر. إنّ للإمام الصادق(ع) وراء ما نشر عنه من الأحادیث فی الأحکام التی تتجاوز عشرات آلاف، والمناظرات مع الزنادقة والملحدین فی عصره والمتقشّفین من الصوفیة، وقد ضبط المحققون کثیراً منها، وهی فی حدّ ذاتها ثروة علمیة ترکها الإمام(ع).

و أمّا الروایة عنه فی الأحکام فقد روی عنه أبان بن تغلب ثلاثین ألف حدیث حتّی أنّ الحسن‌بن‌علی الوشّاء قال: أدرکتُ فی هذا المسجد(مسجد الکوفة) تسعمئة شیخ کلّ یقول حدّثنی جعفر بن محمد(ع)، بل کان یحضر حلقات درسه الفلاسفة وطلّاب العلم من الأنحاء القصیة، وکان الإمام «الحسن البصری» مؤسس المدرسة الفلسفیة فی مدینة البصرة وواصل بن عطاء مؤسس مذهب المعتزلة من تلامیذه الذین نهلوا من معین علمه الفیاض.

و لمّا استشهد الإمام شیّعه عامة الناس فی المدینة وحمل إلی

ص: ۵۵

البقيع، ودفن فى جوار أبيه وجدّه(ع)، فسلام الله عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً.

الإمام السابع: «أبوالحسن موسى بن جعفرالكاظم ٨»

ولـد بالأبواء بين مكة والمدينة يوم الأحد فى ٧ صفر سنة ١٢٨ ه.، كان(ع) نموذج عصره وفريد دهره، عظيم الحلم حتّى سمّى لذلك كاظمـاً، لاقى من المحن ما تنهـدّ لهولها الجبال، فلم‌تحرّك منه طرفاً، بل كان(ع) صابراً محتسـباً كحال آبائه وأجـداده، يعرف بأسـماء عديدة منها: العبد الصالح، والكاظم، والصابر، والأمين.

قـال الشـيخ المفيـد: «هو الإمام بعـد أبيه والمقـدّم على جميع بنيه، لاجتماع خصال الفضل فيه، وورود صـحيح النصوص وجلىّ الأقوال عليه من أبيه بأنّه ولى عهده والإمام القائم من بعده.» وقد تولّى منصب الإمامة بعد أبيه الصادق(ع) فى وقت شـهدت فيه الدولة العبّاسية اسـتقرار أركانها وثبات بنيانها، فشـهد الإمام الكاظم(ع) طيلـة سـنى حياته صـنوف التضـييق والمزاحمة إلّا أنّ ذلك لم‌يمنعه(ع) من أن يؤدّى رسالته فى حماية الدّين وقيادة الأمّة.

و قد قام هارون‌الرّشيد باعتقال الإمام الكاظم(ع) وإيداعه

ص: ۵۶

السجن لسنين طويلة مع تأكيده على سجّانيه بالتشديد والتضييق عليه، ولم‌يزل ذلك الأمر حتى نُقل إلى سجن السندى بن شاهك وكان فاجراً فاسقاً، فغالى فى سجن الإمام(ع) وزاد فى تقييده حتى جاء أمر الرّشيد بدسّ السمّ للكاظم(ع)، فأسرع السندى إلى إنفاذ هذا الأمر العظيم، واستشهد الإمام(ع) بعد طول سجن ومعاناة فى عام ۱۸۳ ه.، واخرج جسمانه الطاهر ووضع على الجسر ببغداد، ونودى بوفاته، ودفن فى الجانب الغربى فى المقبرة المعروفة بمقابر قريش المشهورة فى أيامنا هذه بالكاظمية، فالسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد سجيناً مظلوماً مسموماً ويوم يبعث حيّاً.

الإمام الثامن: «أبوالحسن على بن موسى الرّضا ٨»

ولد فى المدينة سنة ۱۴۸ ه.، هو الإمام الثامن من أئمّة أهل البيت القائم بالإمامة بعد أبيه ۱۸۳ ه. موسى بن جعفر لفضله على جماعة أهل بيته وبنيه وإخوته فى عصره ولعلمه وورعه وكفاءته لمنصب الإمامة، مضافاً إلى النصوص الواردة فى حقّه من أبيه على إمامته، وكانت مدّة إمامته بعد أبيه ۲۰ سنة.

و قد عاش الإمام الرّضا(ع) فى عصر ازدهرت فيه الحضارة

ص: ۵۷

الإسلامية، وكثرت الترجمة لكتب اليونانيين والرومانيين وغيرهم وازدادالتشكيك فى الاصول والعقائد من قبل الملاحدة وأحبار اليهود وبطارقة النصارى ومجسّمة أهل الحديث، وفى تلك الأزمنة اتيحت له(ع) فرصة المناظرة مع المخالفين على اختلاف مذاهبهم، فظهر برهانه وعلاـ شأنه، يقف على ذلك من اطّلع على مناظراته واحتجاجاته مع هؤلاء. ولمّا انتشر علم الإمام الرضا(ع) وفضله كثر التفاف المسلمين حوله وازدادت أعدادهم ممّا دفع بالخلافة العباسية إلى مناورة ذكية ماكرة. حين استقدم الإمام الرضا(ع) وجملة من وجوه الطالبين إلى مقرّ الحكومة آنذاك فى مرو من مدينة رسول‌الله(ص) وأصرّ على الامام(ع) أن يقبل بولاية العهد.

و كان الإمام فى مرو يقصده البعيد والقريب من مختلف الطبقات، وقد انتشر صيته فى بقاع الأرض وعظم تعلّق المسلمين به، ممّا أثار مخاوف المأمون وتوجّسه من أن ينفلت زمام الأمر من يديه على عكس ما يتمنّاه وما كان يبتغيه من ولاية العهد هذه، كلّ ذلك وغيره دفع المأمون إلى أن يريح نفسه وقومه من هذا الخطر فدسّ إليه السمّ، واستشهد فى طوس من أرض خراسان فى صفر ۲۰۳ ه. وله يومئذٍ ۵۵ سنة.

ص: ۵۸

و دفن فى مدينة طوس فى قبر ملاصق لقبر هارون‌الرّشيد، وقبر الإمام الرضا(ع) الآن مزار مهيب يتقاطر المسلمون على زيارته والتبرّك به.

فسلام الله عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً.

الإمام التاسع: «أبوجعفر محمد بن على الجواد ٨»

ولد بالمدينة المنوّرة فى شهر رمضان من سنة خمس وتسعين بعد المائة فورث الشرف من آبائه وأجداده واستسقت عروقه من منبع النبوّة وارتوت شجرته من منهل الرسالة.

قام بأمر الولاية بعد شهادة والده الرضا(ع) عام ۲۰۳ ه.، واستشهد ببغداد عام ۲۲۰ ه.، أدرك خلافة المأمون وأوائل خلافة المعتصم.

أمّا إمامته ووصايته فقدوردت فيها النصوص الوافرة، لقّب بالجواد والقانع والمرتضى والنجيب والتقى والزكى وغيرها من الألقاب الدالّة على علوّ شأنه وارتفاع منزلته.

لمّا استشهد الرضا(ع) كان الإمام الجواد فى المدينة وقام بأمر الإمامة بوصية من أبيه وله من العمر تسع أو عشر سنين، وكان المأمون قد مارس معه نفس السياسة التى مارسها مع أبيه(ع)، وهو استقدام أهل البيت من موطنهم إلى دارالخلافة لكى

ص: ۵۹

يشرف على حركاتهم وسكناتهم، فزوّجه ابنته أمّ‌الفضل وحملها معه إلى المدينة، وكان حريصاً على إكرامه وتعظيمه وإجلال قدره، وسكن بها مدّة إلى أن توفى المأمون وبويع المعتصم ولم‌يزل المعتصم متفكّراً فى أبى‌جعفر يخاف من اجتماع الناس حوله ووثوبه على الخلافة، فاستقدم الإمام الجواد(ع) إلى بغداد سنة ۲۲۰ ه.، وبقى فيها(ع) حتّى استشهد فى آخر ذى‌القعدة من تلك السنة، وله من العمر ۲۵ سنة وأشهر، ودفن عند جدّه موسى بن جعفر فى مقابر قريش؛ وقال ابن شهر آشوب: إنّه قبض مسموماً، فسلام الله على إمامنا الجواد يوم ولد ويوم مات أو استشهد بالسمّ ويوم يبعث حيا.

الإمام العاشر: «أبوالحسن على بن محمّد الهادى ٨»

ولد عام ۲۱۲ ه. وهو من بيت الرسالة والإمامة ومقرّ الوصاية والخلافة وثمرة من شجرة النبوة، قام(ع) بأمر الإمامة بعد والده الإمام الجواد(ع)، وقد عاصر خلافة المعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين والمعتزّ، وله مع هؤلاء قضايا لا يتّسع المقام لذكرها. وقد اجتمعت فيه خصال الإمامة وثبت النصّ عليه بالإمامة والإشارة إليه من أبيه بالخلافة.

ص: ۶۰

لقد مارس المتوکل ثمّ أخوه المعتصم من إشخاص الأئمّة أهل البیت من موطنهم وإجبارهم علی الإقامة فی مقرّ الخلافة وجعل العیون والحرّاس علیهم حتّی یطّلعوا علی دقیق حیاتهم وجلیلها.

روی الحفّاظ والرواة عن الإمام أحادیث کثیرة فی شتّی المجالات من العقیدة والشریعة. استشهد أبوالحسن فی رجب سنة أربع وخمسین ومائتین، ودفن فی داره بسرّ من رأی.

الإمام الحادی عشر: «أبومحمد الحسن بن علی العسکری ۸»

أبومحمّد الحسن بن علی بن محمّد(علیهم السلام) أحد أئمّة أهل البیت، وهو الإمام الحادی عشر، الملقّب بالعسکری، ولد عام ۲۳۲ ه.، اشخص والده إلی العراق سنة ۲۳۶ ه. وله من العمر أربع سنین وعدّة شهور، وقام بأمر الإمامة والقیادة الروحیة بعد شهادة والده. وقد اجتمعت فیه خصال الفضل وبرز تقدّمه علی کافّة أهل العصر، واشتهر بکمال الفضل والعلم والزهد والشجاعة. وقد روی عنه لفیف من الفقهاء والمحدّثین یربو عددهم علی ۱۵۰ شخصاً. واستشهد عام ۲۶۰ ه.، ودفن فی داره الّتی دفن فیها أبوه بسامراء، وخلّف ابنه المنتظر لدولة الحق. وکان قد

ص: ۶۱

أخفی مولـده وستر أمره لصـعوبة الوقت وشدّة طلب السـلطة واجتهادها فی البحث عن أمره؛ ولکنّ الله سـبحانه حفظه من شـرار أعدائه کما حفظ سائر أولیائه کإبراهیم الخلیل وموسی الکلیم فقد خابت السلطة فی طلبهما والاعتداء علیهما.

و قد اشتهر الإمام بالعسکری لأنّه منسوب إلی عسکر، ویراد بها سرّ من رأی التی بناها المعتصم وانتقل إلیها بعسکره.

الإمام الثانی عشر: «المهدی بن الحسن المنتظر]»

اشارة

هو أبوالقاسم محمـد بن الحسن العسـکری(ع) الحجـة، الخلف الصالـح، ولـد ب- «سـرّ من رأی» لیلة النصف من شـعبان، سـنة خمس وخمسـین ومئتین وله من العمر عند استشهاد أبیه خمس سنین، آتاه الله الحکم صبیاً کما حدث لیحیی(ع)، حیث قال سبحانه:(یا یَحْیی خُـذِ الْکِتابَ بِقُوَّةٍ وآتَیْناهُ الْحُکْمَ صَبِیًّا) (۱)، وجعله إماماً وهو طفل کما جعل المسـیح(ع) نبیاً وهو رضـیع، قال سـبحانه عن لسانه وهو یخاطب قومه فی المهد:(إِنِّی عَبْدُ اللَّهِ آتانِیَ الْکِتابَ وجَعَلَنِی نَبِیًّا) (۲) اتّفق المسلمون علی ظهور المهدی فی آخر الزمان لإزالة

۱- مریم: ۱۲.

۲- همان: ۳۰.

ص: ۶۲

الجهل والظلم والجور، ونشر أعلام العدل وإعلاء کلمة الحق وإظهارالدّین کلّه ولو کره المشرکون. (۱) فهو بإذن الله ینجی العالم من ذلّ عبودیة غیر الله، ویلغی الأخلاق والعادات الذمیمة، ویبطل القوانین الکافرة التی سنّتها الأهواء، ویقطع أواصر العصبیات القومیة والعنصریة، ویمحو أسباب العداوة والبغضاء التی صارت سبباً لاختلاف الأمّة وافتراق الکلمة، ویحقّق الله سبحانه بظهوره وعده الذی وعد به المؤمنین (۲).

و تشهد الأمّة بعد ظهوره عصراً ذهبیاً لایبقی فیه علی الأرض بیت إلّا ودخلته کلمة الإسلام، ولاتبقی قریة إلّا وینادی فیها بشهادة «لا إله إلّا الله» بکرةً وعشیاً.

و إنّما الاختلاف بین الشیعة والسنّة فی ولادته، فالشیعة ذهبت إلی أنّ المهدی الموعود هو الإمام الثانی عشر الذی ولد بسامراء عام ۲۵۵ ه، واختفی بعد استشهاد أبیه عام ۲۶۰ ه، وقد تضافرت علیه النصوص من آبائه علی وجه ما ترک شکاً ولا شبهة، ووافقتهم جماعة من علماء أهل السنّة وقالوا بأنّه ولد

۱- صف: ۹، توبه: ۳۳، فتح: ۲۸.

۲- النور: ۵۵، قصص: ۵، الأنبیاء: ۱۰۵، یونس: ۸۲، أنفال: ۸.

ص: ۶۳

وأنّه محمد بن الحسن العسكرى [. نعم كثير منهم قالوا: بأنّه سيولد فى آخرالزمان.

و بما أنّ أهل البيت أدرى بما فى البيت، فمن رجع إلى روايات أئمّة أهل‌البيت فى كتبهم يظهرله الحقّ.

ثمّ إنّ للمهدى [غيبتين صغرى [۲۶۰- ۳۲۹ ه.] وكبرى [۳۲۹ ه. إلى الآن].

و أمّا من رأى الحجّة(ع) فى زمان أبيه وفى الغيبة الصغرى وحتى فى الكبرى فحدّث عنه ولاحرج.

أسئلة مهمّة حول المهدى (عج)

السؤال الأوّل: كيف يكون إماماً وهو غائب؟ وما فائدته؟!

إنّ القيادة والهداية والقيام بوظائف الإمامة هو الغاية من تنصيب الإمام أو اختياره، وهو يتوقّف على كونه ظاهراً بين أبناء الأمّة مشاهداً لهم، فكيف يكون إماماً قائداً وهو غائب عنهم؟!

و الجواب على وجهين نقيضاً وحلّاً: أمّا النقض: فإنّ التركيز على هذا السؤال يعرب عن عدم التعرّف على أولياءالله وأنّهم بين ظاهر قائم بالأمور، ومختفٍ قائم بها من دون أن يعرفه

ص: ۶۴

الناس.

حتى نبى زمانه كما يخبر سبحانه عن مصاحب موسى(ع) بقوله:(فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً) (۱) فالقرآن إذن يدلّ على أنّ الولى ربّما يكون غائباً ولكنّه مع ذلك لايعيش فى غفلة عن أمّته، بل يتصرّف فى مصالحها، ويرعى شؤونها من دون أن يعرفه أبناء الأمّة. وليست غيبة الإمام المهدى(ع) بدعاً فى تاريخ الأولياء فهذا موسى(ع) ابن عمران قد غاب عن قومه قرابة أربعين يوماً وكان نبياً ولياً. (۲) وأمّا الحلّ: فمن وجوه:

الوجه الأوّل: إنّ عدم علمنا بفائدة وجوده فى زمن غيبته لايدلّ على عدم كونه مفيداً فى زمن غيبته، ولاشك أنّ عقول البشر لاتصل إلى كثير من الأمور المهمّة فى عالم التكوين والتشريع، بل لا تفهم مصلحة كثير من سننه وإن كان فعله سبحانه منزّهاً عن العبث، بعيداً عن اللغو، وعلى ذلك فيجب علينا التسليم أمام التشريع إذا وصل إلينا بصورة صحيحة كما

۱- كهف: ۶۵- ۸۲.

۲- الأعراف: ۱۴۲ وأيضاً الأنبياء: ۸۷- ۸۸.

ص: ۶۵

عرفت من تواتر الروايات على غيبته.

الوجه الثانى: إنّ الغيبة لاتلازم عدم التصرف فى الأمور وعدم الإستفادة من وجوده.

كما دلّت الروايات على أنّه يغيث المضطرين ويعود المرضى، وربّما يتكفّل- بنفسه الشريفة قضاء حوائجهم وإن كان الناس لايعرفونه.

الوجه الثالث: إنّ الصلحاء من الأئمّة الّذين يستدرّ بهم الغمام، لهم التشرّف بلقائه والاستفادة من نور وجوده، وبالتالى تستفيد الأمّة بواسطتهم.

الوجه الرابع: لايجب على الإمام أن يتولّى التصرّف فى الأمور الظاهرية بنفسه، بل له تولية غيره على التصرّف فى الأمور كما فعل الإمام المهدى- ارواحنا له الفداء- فى غيبته. ففى الغيبة الصغرى: كان له وكلاء أربعة يقومون بحوائج النّاس، وكانت الصّلة بينه وبين الناس مستمرّة بهم، وفى الغيبة الكبرى نصب الفقهاء والعلماء العدول العالمين بالأحكام للقضاء وتدبير الأمور وإقامة الحدود، وجعلهم حجة على الناس، فهم يقومون فى عصرالغيبة بصيانة الشرع عن التحريف وبيان الأحكام ودفع الشبهات وبكل ما يتوقّف عليه نظم أمور الناس. ولغيبته(ع)

ص: ۶۶

فوائد کثیرة اخر تذکر فی مجالها.

السؤال الثانی: لماذا غاب المهدی [؟!

الجواب: أنّ هذا السؤال یجاب علیه بالنقض والحلّ؛

أمّا النقض: الاعتراف بقصور أفهامنا أولی من ردّ الروایات المتواترة، بل هو المتعیّن.

و أما الحلّ: فإنّ الإمام المهدی(ع) فلو کان ظاهراً لأقدموا علی قتله إطفاءً لنوره، فلأجل ذلک اقتضت المصلحة أن یکون مستوراً عن أعین النّاس إلی أن تقتضی مشیئة الله سبحانه ظهوره بعد حصول استعداد خاص فی العالم لقبوله والإنضواء تحت لواء طاعته.

السؤال الثالث: الإمام المهدی [وطول عمره؟!

الجواب من وجهین: نقضاً وحلّاً؛

أمّا النقض: فقد دلّ الذکر الحکیم علی أنّ شیخ الأنبیاء عاش قرابة ألف سنة، قال تعالی:(فَلَبِثَ فِیهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِینَ عاماً). (۱)

۱- العنکبوت: ۱۴.

ص: ۶۷

و قـد تضـمّنت التوراة أسـماء جماعـة كثيرة من المعمّرين، وذكرت أحوالهم فی سـفر التكوين، وقد قام المسـلمون بتأليف كتب حول المعمّرين.

و أمّـا الحـلّ: فإنّ السؤال عن إمكان طول العمر يعرب عن عـدم التعرّف على سـعة قـدرة الله سـبحانه:(وَ ما قَـدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَـدْرِهِ). (۱) أضف إلى ذلك ما ثبت فی علم الأحياء، من إمكان طول عمر الإنسان إذا كان مراعياً لقواعد حفظ الصحة، وأنّ موت الإنسان فی فترة متدنية ليس لقصور الإقتضاء، بل لعوارض تمنع عن استمرار الحياة، ولو أمكن تحصين الإنسان منها بالأدوية والمعالجات الخاصّة لطال عمره ما شاء.

فلو فرض فی حياة شخص اجتماع موجبات الصحة من كلّ وجه طال عمره إلى ما شاء الله.

السؤال الرابع: ما هی علائم ظهوره؟!

الجواب: إنّ ماجاء فی كتب الأحاديث من الحوادث والفتن الواقعة فی آخرالزمان ... عبارة عن أمور، عدّة منها:

۱- الأنعام: ۹۱.

ص: ۶۸

۱- النداء فی السماء.

۲- الخسوف والکسوف فی غیر مواقعهما.

۳- الشقاق والنفاق فی المجتمع.

۴- ذیوع الجور والظلم والهرج والمرج فی الامّة.

۵- ابتلاء الإنسان بالموت الأحمر والأبیض.

۶- قتل النفس الزّکیة.

۷- خروج الدجّال.

۸- خروج السفیانی.

و غیرذلک ممّا جاء فی الأحادیث الإسلامیة. هذه هی علامات ظهوره، ولکن هناک أمور تمهّد لظهوره وتسهّل تحقیق أهدافه نشیر إلی أبرزها:

۱- الاستعداد العالمی.

۲- تکامل العقول.

۳- تکامل الصناعات.

۴- الجیش الثوری العالمی.

ص: ۶۹

الفصل الثالث: دورالشيعة فى بناء الحضارة الإسلامية

تمهيد:

إنّ الحضارة الإسلامية تعدّ بلا شكّ من أكبر الحضارات فى تاريخ الإنسان وأكثرها اهتماماً بالعلم والفلسفة والأدب والفنون، وهى الأساس الوطيد الذى قامت عليه حركة النهضة الأوروبية، إنّها حضارة حقيقية ترتكز على أُسس أخلاقية وعقائدية سماوية، ضربت جذورها فى أعماق البناء الإنسانى واستطاعت أن تجعل منه وكما أراد خالقه له أن يكون خليفته فى أرضه.

إنّ مؤسس الحضارة الإسلامية هو النبى الأكرم(ص)، وقد جاء

ص: ۷۰

بسنن وقوانين دفعت البشرية إلى مكارم الأخلاق كما دفعتهم إلى متابعة العلوم والفنون واستغلال الموارد الطبيعية وتكوين مجتمع تسود فيه النظم الاجتماعية المستقيمة، فأصبحت لهم قوّة اقتصادية ونظم سياسية وتقاليد دينيّه وخُلقيّه، وأُعطوا العلوم المختلفة جلّ اهتمامهم، فبرز منهم العديد من العلماء المتفوّقين والبارعين فى شتّى مناحى العلم، ورفدوا حركة تطوّر الحضارة البشرية بجهودهم المخلصة.

و الذى يطيب لنا هنا ذكر مشاركة الشيعة فى بناء هذه الحضارة:

أوّلًا: قدماء الشيعة وعلم البيان.

ثانياً: قدماء الشيعة وعلم النحو:

إنّ دراسة القرآن بين الأمّة ونشر مفاهيمه يتوقّف على معرفة العلوم الّتى تعدّ مفتاحاً له، إذ لولا هذه العلوم ونضجها لحرم جميع المسلمين حتّى العرب منهم من الاستفادة من القرآن الكريم، فقام أبوالأسود الدؤلى بوضع قواعد نحوية بأمر الإمام أميرالمؤمنين(ع)، فأبوالأسود إمّا واضع علم النحو أو مدوّنه، وكان من سادات التابعين، وقد صاحب علياً، وشهد معه صفين، ثمّ أقام فى البصرة. توفّى سنة ۶۹ ه.

ص: ۷۱

وكان الخليل من أصحاب الإمام الصادق(ع) ومن شيعته، وممّن ألّف فى علم النحو من قدماء الشيعة عطاء بن أبى الأسود وحمران بن أعين أخو زرارة بن أعين وأبوعثمان المازنى وبكر بن محمد ويعقوب بن إسحاق السكّيت الذى قتله المتوكل لأجل تشيّعه عام ۲۴۴ ه.، وقد خلّف بضعة وعشرين أثراً فى النحو واللغة والشعر.

وكذلك ابن حمدون وأحمد بن إبراهيم وأبواسحاق النّحوى وثعلبة بن ميمون وقتيبة النحوى الجعفى الكوفى، هذا فى القرون الأولى.

وأمّا من تلاهم من الأعلام بينهم شخصيات بارزة كالشريف المرتضى والشّريف الرضى وابن الشجرى، ونجم الأئمّة الرّضى الاسترآبادى.

ثالثاً: قدماء الشيعة وعلم الصّرف:

إنّ أوّل من دوّن الصرف أبوعثمان المازنى، وكان قبل ذلك مندرجاً فى علم النّحو، كما ذكره فى كشف الظنون وشرحه أبوالفتح عثمان بن جنّى المتوفّى فى ۳۹۲ ه.، وأبسط كتاب فى الصرف ما كتبه نجم الأئمّة محمّد بن الحسن الأسترآبادى الغروى، وله شرح الشافية فى الصرف كما له شرح الكافية فى

ص: ۷۲

النحو، وكلا كتابيه جليل الخطر محمود الأثر قد جمع فيهما بين الدلائل والمبانى.

رابعاً: قدماء الشيعة وعلم اللغة:

ونريد بعلم اللّغة: الاشتغال بألفاظ اللغة من حيث اصولها واشتقاقاتها ومعانيها، وقد ظهر فى ميدان هذاالعلم المهمّ جملة واسعة من علماء الشيعة. ومن هؤلاء الأفاضل:

۱- الخليل بن أحمد البصرى الفراهيدى الأزدى، وهو أول من ضبط اللّغة وأوّل من استخرج علم العروض إلى الوجود، فألّف كتابه «العين»، ورتّب ذلك على حروف الهجاء. والخليل من أعلام القرن الثانى الهجرى، وكان إمامى المذهب.

۲- أبان بن تغلب بن رباح الجريرى: من أصحاب الباقر والصادق(ع).

۳- ابن حمدون النديم.

۴- أبوبكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدى صاحب «الجمهرة فى اللغة»، واختصره الصاحب بن العباد وسمّاه «جوهرة الجمهرة»، ومن كتبه فى اللغة «المحيط» عشرة مجلّدات.

خامساً: قدماء الشيعة وعلم العروض:

الخليل بن أحمد الفراهيدى البصرى وكافى الكفاة الصاحب

ص: ۷۳

بن عباد، له كتاب «الإقناع فى العروض» وهبةالدين الشهرستانى(۱۳۰۱ - ۱۳۸۶ ه.) والشيخ مصطفى التبريزى(۱۲۹۸ - ۱۳۳۸ ه.) وأبوالمجد الشيخ محمد رضا الإصفهانى(۱۲۸۶- ۱۳۶۲ ه.).

سادساً: قدماء الشّيعة وطرائف الشعر:

و نريد بالشعر ما يحتوى على المضامين العالية فى الحياة وما يبثّ روح الجهاد فى الإنسان، فإنّا نعنى بحديثنا هنا أولئك الشعراء الذين أوقفوا أشعارهم فى خدمة كلمة الحق وإعلاء شأن الدّين الحنيف. وإليك أسماء بعض من شعراء الشيعة:

قيس بن سعد بن عبادة سيد الخزرج والصحابى الكبير والكميت بن زيد والسيد الحميرى(ت ۱۷۳ ه.) أبوهاشم إسماعيل بن محمد الملقّب بالسيد ودعبل الخزاعى(المتوفّى ۲۴۶ ه.) يرجع نسبه إلى بديل بن ورقاء الخزاعى الذى دعا له النبى(ص) والأمير أبوفراس الحمدانى(۳۲۰- ۳۵۷ ه.) وابن الحجّاج البغدادى(المتوفّى ۳۲۱ ه.) ...؛ الشريف الرضى(۳۵۹- ۴۰۶ ه.) والشريف المرتضى(۳۵۵- ۴۳۶ ه.) ومهيارالديلمى(المتوفّى ۴۴۸).

سابعاً: قدماء الشّيعة وعلم التفسير:

ص: ۷۴

إنّ أئمّة أهل البيت- بعد الرسول الأكرم(ص)- هم المفّسرون الحقيقيون للقرآن الكريم، حيث فسّروا القرآن بالعلوم الّتى نحلهم الرسول(ص) بأقوالهم وأفعالهم وتقريراتهم الّتى لاتشذّ عن قول الرسول(ص) وفعله وتقريره.

و قد قام فضلاء الشيعة من صحابة الإمام على(ع) والتابعين له إلى العصر الحاضر إما بتفسير جميع سوره أو بعضها، والغالب على التفاسير المعروفة فى القرون الثلاثة الاولى هو التفسير بالأثر، ولكن انقلب النمط إلى التفسير العلمى والتحليلى من أواخر القرن الرابع، فأوّل من ألّف من الشيعة على هذا المنهاج هو الشريف الرضى(۳۵۹- ۴۰۶ ه.) مؤلّف كتاب «حقائق التأويل» فى عشرين جزءاً.

ثمّ الشريف المرتضى فى أماليه المعروف به «الدرر والغرر» ثم الشيخ الأكبر الطوسى(۳۸۵- ۴۶۰ ه.) مؤلّف «التبيان فى تفسير القرآن» فى عشرة أجزاء كبار.

واستمرار الأمر إلى عصرنا هذا، فقد قامت الشيعة فى كلّ قرن بتأليف عشرات التفاسير وفق أساليب متنوّعة ولغات متعدّدة، لايحصيها إلّا المتوغّل فى المعاجم فبلغ عددهم(۱۲۲) مفسّراً معروفاً.

ص: ۷۵

ثامناً: قدماء الشيعة وعلم الحديث:

قام الإمام أميرالمؤمنين على(ع) بتأليف عدّة كتب فى زمان النّبى(ص)، فقد أملى رسول الله كثيراً من الأحكام عليه وكتبها الإمام، واشتهر بكتاب على، وتبعه ثلّة من الصحابة الذين كانوا شيعة له. وإليك أسماء من اهتمّ بتدوين الآثار وما له صلة بالدّين وإن لم يكن حديث الرسول(ص): أبورافع وسلمان فارسى وأبوذر غفارى وأصبغ بن نباتة المجاشعى وعبدالله بن أبى رافع المدنى وربيعة بن سميع وسليم بن قيس هلالى وعلى بن أبى رافع وعبيدالله بن الحرّ الجعفى والإمام السّجاد زين العابدين على بن الحسين(ع) وجابربن يزيد بن الحارث الجعفى وجارود بن منذر.

وأنّهم لم يقيموا لمنع الخلفاء وزناً ولاقيمة، وبذلك حفظوا نصوص النبى‌الأكرم(ص) وأهل بيته وقدّموها إلى المجتمع الإسلامى، فعلى جميع علماء المسلمين أن يتمسّكوا بهذا الحبل الذى هو أحد الثقلين.

تاسعاً: قدماء الشيعة والفقه الإسلامى:

إنّ الفقه الشيعى هو الشجرة الطيبة الراسخة الجذور المتّصلة الأسس بالنّبوة والتى امتازت بالسعة والشمولية والعمق والدقّة

ص: ۷۶

والقدرة على مسايرة العصور المختلفة، يعتمد فى الدرجة الاولى على القرآن الكريم، ثم على السّنة المحمّدية المنقولة عن النبى(ص) عن طريق العترة الطاهرة أو الثقات من أصحابهم والتابعين لهم بإحسان، وكذلك يتخذ من العقل دليلًا وأيضاً الإجماع الكاشف عن وجود النصّ فى المسألة أو موافقة الإمام المعصوم مع المجمعين فى عصر الحضور، ولميقفل باب الاجتهاد منذ رحلة النبى(ص) إلى يومنا هذا، بل فتح بابه طيلة القرون، فأنتج عبرالعصور فقهاء عظاماً وموسوعات كبيرة لميشهد التاريخ لها ولهم مثيلًا، كزرارة بن أعين ومحمد ابن مسلم وبريد بن معاوية والفضل بن يسار وجميل بن دراج وعبدالله بن مسكان وعبدالله بن بُكير وحمّاد بن عثمان وحمّاد بن عيسى وأبان بن عثمان ومحمد بن أبى عمير والحسن بن محبوب، وكلّهم خرّيجو مدرسة أهل‌البيت، ولقد خلّفوا آثاراً علميةً باسم الأصل والكتاب والنوادر والجامع والمسائل وعناوين أخرى، فخلّفوا جوامع فقهية مهمّة كانت ولازالت خير زاد للمسلمين. ومن هؤلاء الأعلام: أيضاً صفوان بن يحيى وأحمد بن محمد بن خالد البرقى(ت ۲۷۴ ه.) صاحب كتاب المحاسن وغيره ومحمد بن أحمد بن يحيى الأشعرى القمّى(ت ۲۹۳ ه.) وأحمد

ص: ۷۷

ابن محمد بن أبى نصر البزنطى(ت ۲۲۱ ه.(.

على بن الحسين بن بابويه(ت ۳۲۹ ه.) وجعفر بن محمّد بن قولويه أستاذ الشيخ الصّدوق ومؤلّف كامل الزيارات ومحمّد بن على بن الحسين الصدوق(۳۰۶ - ۳۸۱ ه.) مؤلّف كتاب من لايحضره الفقيه والمقنع والهداية ومحمد بن أحمد بن الجنيد المعروف بالإسكافى(۳۸۵ ه.) والشيخ المفيد(۳۳۶ - ۴۱۳ ه.) والسيد المرتضى(۳۵۵ - ۴۳۶ ه.) والشيخ الكراجكى(ت ۴۴۹) والشيخ الطوسى(۳۸۵- ۴۶۰ ه.).

و يشهد الله أنّ علماء الشيعة قاموا بهذه الجهود فى ظروف قاسية ورهيبة، وكانت الحكومات الظالمة ومرتزقتها لاـينفكون عن مطاردتهم وإيداعهم فى السجون وعرضهم على السّيف، وأين هؤلاء من الفقهاء الذين تنعّموا بالهدوء والاستقرار واستقبلتهم السلطات الحاكمة بصدر رحب واجيزوا مقابل أبيات معدودة من الشعر الرخيص أو كتيب أو رسالة صغيرة بالهبات والعطايا؟! كابن مالك.

عاشراً: قدماء الشيعة وعلم أصول الفقه:

إنّ افتقاد النصّ فى مجال التشريع الّذى واجه فقهاء أهل السنّة بعد رحلة النبى(ص) هو الّذى دعاهم إلى التفحّص عن

ص: ۷۸

الحلّ لهذه الأزمة حتّى تسدّ حاجاتهم الفقهية، فعكفوا على المقاييس الظنيّة الّتى ما أنزل الله بها من سلطان كالقياس والاستقراء والاستحسان وسدّ الذرائع وسنّة الخلفاء أو سنّة الصحابة أو رأى أهل المدينة إلى غير ذلك من القواعد أسّسوا عليها فقههم عبر قرون متمادية.

و أمّا الشّيعة فحيث إنّهم لم يفتقدوا سنّة الرسول(ص) بعد وفاته لوجود باب علم النبى(ص) على(ع) والأئمة المعصومين- بين ظهرانيهم، فلم تكن هناك أيّة حاجة للعمل بتلك المقاييس.

نعم انبرى أئمّة أهل البيت إلى إملاء ضوابط وقواعد يرجع إليها الفقيه عند فقدان النصّ أو إجماله أو تعارضه إلى غير ذلك من الحالات الّتى يواجه بها الفقيه، وتلك الأصول هى الّتى تكون أساساً لعلم أصول الفقه.

نعم، يمكن عدّها مرحلة أولى ونواة بالنسبة إلى المرحلة الثانية. وأمّا المرحلة الثانية فقد امتازت بالسعة والشمول بإدخال كثير من المسائل الأدبية والكلامية فى علم أصول الفقه. وأوّل من فتح هذا الباب للشيعة على مصراعيه: معلّم الأمّة الشيخ المفيد(۳۳۶- ۴۱۳ ه.) والسيد المرتضى والشيخ الطوسى(۳۸۵- ۴۶۰ ه.) وابن زهره المتوفى عام(۵۸۵ ه.)

ص: ۷۹

الشيخ سديدالدين الحمصى المتوفّى حدود سنة(۶۰۰ ه.). وقد تلتها مراحل أخرى إلى أن بلغت فى القرن الرابع عشرذروتها وقمّتها، شكرالله مساعيهم.

حادى‌عشر: قدماء الشيعة وعلم المغازى والسير:

لقد قيّض الله سبحانه رجالًا فى الشيعة ضبطوا سيرة النبى ومغازيه، منهم:

۱- ابن إسحاق، محمد بن إسحاق(ت ۱۵۱ ه.) من أصحاب الإمام الصادق(ص).

۲- عبيدالله بن أبى رافع، وهو من أصحاب الإمام أميرالمؤمنين على بن أبى‌طالب(ع) أنّه ألّف فى مغازى الإمام على(ع).

۳- جابر الجعفى(ت ۱۲۸ ه.).

۴- أبان بن عثمان الأحمر البجلّى الكوفى.

۵- أبومخنف لوط بن يحيى الأزدى الغامدى.

۶- نصر بن مزاحم(۲۱۲ ه.).

۷- هشام بن محمّد بن السائب الكلبى(المتوفّى ۲۰۶ ه.).

ثانى عشر: قدماء الشّيعة وعلم الرّجال:

اهتمّ علماء الشيعة بعد عصر التابعين بعلم الرجال وأولوه

ص: ۸۰

اهتماماً كبيراً، فبرزت منهم ثلّة كبيرة من سادات هذا العلم. وسنحاول هنا أن نذكر أوائل المؤلّفين، منهم: على بن الحسن بن فضّال من أصحاب الإمامين الهادى والعسكرى(ع).

الحسن بن محبوب السرّاد(۱۵۰- ۲۲۴ ه.) من أصحاب الصادق(ع)، أبوعمر الكشّى، الشيخ أبوالعبّاس أحمد بن على النجاشى(۳۷۲- ۴۵۰ ه.)، والشيخ الطوسى(۳۸۵- ۴۶۰ ه.)، وتوالى التأليف فى علم الرّجال كما فى قرينه علم الدراية إلى عصرنا هذا، فبلغوا قرابة خمسمائة مؤلّف، شكّرالله مساعى الجميع.

ثالث عشر: قدماء الشيعة والعلوم العقلية:

إنّ المسلمين سوى قليل منهم صاروا بين مشبّه ومعطّل، وبذلك استغنوا عن أىّ تعقّل وتفكّر غير أنّه سبحانه شملت عنايته أمّة من المسلمين رفضوا التشبيه والتعطيل، وسلكوا طريقاً ثالثاً، وقالوا بأنّه يمكن للإنسان التعرّف على ماوراء الطبيعة بما فيها من الجمال والكمال بلا تشبيه.

ترى ذلك فى كلام الإمام على(ع) بوضوح فى أحاديثه وخطبه ورسائله، فإنّ خطب الإمام على(ع) ورسائله وقصار حكمه كانت هى الحجر الأساس لكلام الشيعة وآرائهم فى العقائد والمعارف، ولم يتوقّف نشاط الشيعة فى ذلك المجال، فواصل

ص: ۸۱

الأئمّة من بعده عليهم وعليه السلام- فى حياتهم تربية شيعتهم، فشحذوا عقولهم بالدعوة إلى التدّبر والتفكّر فى المعارف حتى تربّى فى مدرستهم عمالقة الفكر من عصر سيد الساجدين(ع) إلى عصر الإمام العسكرى(ع).

و من هؤلاء: زرارة بن أعين ومحمد بن على بن نعمان بن أبى طريفة البجلّى الّذى يلقّب ب- «مؤمن الطاق» وهشام بن الحكم وقيس الماصر الذى تعلّم الكلام من على بن الحسين(ع) والفضل بن شاذان بن خليل أبومحمد الأزدى النيشابورى وشيخنا المفيد(۳۳۶- ۴۱۳ ه.)

و بعد أودّ أن اشير إلى بعض أساتذة الفلسفة:

الشيخ أبوعلى بن سينا:(۳۷۰- ۴۲۸ ه.) أكبر فيلسوف إسلامى شيعى ظهر فى المشرق، وقد ذاع صيته شرقاً وغرباً.

نصيرالدين الطوسى(۵۹۷- ۶۷۲ ه.).

الشيخ كمال‌الدين. ميثم بن على بن ميثم البحرانى(۶۳۶- ۶۹۹ ه.)، له «قواعد المرام فى الكلام».

العلّامة الحلّى(۶۴۸- ۷۲۶ ه.)، له «الجوهر النضيد» وكشف المراد فى شرح تجريد الاعتقاد شيخ الطوسى.

قطب‌الدين الرازى(ت ۷۶۶ ه.) تلميذ العلّامة الحلّى

ص: ۸۲

واستاذ الشهيد الأوّل

إلى غير ذلك كالفاضل المقداد(ت ۸۰۸ ه.)، والسيد محمدباقر المعروف بالداماد(ت ۱۰۴۰ ه.) وتلميذه المعروف بصدرالمتألهين مؤلّف الأسفار الأربعة(۹۷۱- ۱۰۵۰ ه.) وغيرهم حتّى عصرنا الحاضر.

رابع عشر: قدماء الشيعة والعلوم الكونية:

إنّ بيت آل نوبخت بيت شيعى عريق، فقد قاموا بترجمة الكثير من كتب العلوم والمعرفة من اللغة الفارسية إلى العربية، كما برع منهم من له باع طويل فى كثير من العلوم ومنها العلوم الكونية والنّجوم.

- أبوعلى أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه: من أعيان الشيعة وأعلام فلاسفتهم، صنّف فى علوم الأوائل، وله تعليقات فى المنطق ومقالات جليلة فى أقسام الحكمة والرياضة.

- جابر بن حيان(رحمة الله): فى علم الكيمياء.

- المحقق الطوسى(رحمة الله): فى علم الفلك.

- أحمد بن أبى يعقوب بن واضح: هو أوّل جغرافى فى العرب.

- أبوالحسن على بن الحسين المسعودى(ت ۳۴۶ ه.) فقد ألّف فى التاريخ والجغرافية وتقويم البلدان.

ص: ۸۳

بلدان الشيعة وأماكن تواجدهم

ينتشر الشيعة فى جميع أنحاء العالم بنسب مختلفة، وربّما تعدّ بعض البلدان معقل الشيعة ومزدحمها حيث يكون المذهب السائد فيها هو مذهب التشيّع فى حين تتفاوت هذه النسبة فى بلدان اخرى. وإليك أسماء بعضها، وهى:

إيران والعراق وسورية والسعودية وتركيا وأفغانستان والباكستان والهند واليمن ومصر والإمارات العربية المتّحدة والبحرين والكويت وعمان والتّبت والصين وآذربيجان وطاجيكستان وباقى الجمهوريات المتحرّرة بانحلال الاتحاد السوفيتى، وماليزيا وأندونيسيا وسيلان وتايلند وسنغافورة وشمال أفريقيا والصومال والأرجنتين وبريطانيا وألمانيا وفرنسا وألبانيا والولايات المتحدة وكندا وغيرها من الدول المختلفة الّتى يضيق المجال بحصرها.

إنّ فى هذه الشريعة الغرّاء من سمات العدل والمساواة ورفض التمييز العنصرى والنظام الطبقى وأنّ الناس فيه كأسنان المشط لافضل لأعجمى على عربى ولا لعربى على أعجمى إلّا بالتقوى، فكان ذلك هو الدافع المهمّ للشعوب للدخول فى

ص: ۸۴

الإسلام والانضواء تحت رايته، من غير فرق بين قوم دون قوم وشعب دون شعب. وإنّ السبب الحقيقى لولائهم وجنوحهم إلى أهل‌البيت هو أنّهم شاهدوا أنّ علياً وأهل بيته خلافاً للخلفاء عامّتهم يكافحون فكرة القومية ويطبّقون المساواة، فكان ذلك نواة لبذر الولاء فى قلوب بعضهم، يرثه الأبناء من الآباء وإن لم يكن الحب يوم ذاك ملازماً للقول بخلافتهم عن الرسول وإمامتهم بعده، بل كان حبّاً وودّاً خالصاً لأسباب نفسية لا قيادية

نسأله سبحانه أن يرفع كلمة التوحيد فى ربوع العالم، ويوفّق المسلمين لتوحيد الكلمة ورصّ الصفوف، إنّه على ذلك لقدير.

ص: ۸۵

الفصل الرابع: مع الشيعة الإمامية فى عقائدهم

تمهيد:

إنّ المناهج الكلامية فرّقت المسلمين إلى مذاهب، حدثت فى أواخر القرن الأول الهجرى، واستمرّت فى القرون التالية، فنجمت عنها فرق إسلامية مختلفة كالمرجئة والجهمية والمعتزلة والحشوية والأشعرية والكرامية بفرقهم المتشعّبة فإنّ المرء لايجد لها تاريخاً متّصلًا بزمن النبى الأكرم(ص)، فالخوارج مثلًا كانوا فرقة سياسية نشأت فى عام(۳۷ ه.) أثناء حرب صفّين ثمّ تبدّلت إلى فرقة دينية فى أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثانى، والمرجئة ظهرت فى الأوساط الإسلامية عند اختلاف

ص: ۸۶

النّاس فى الخليفة عثمان والإمام على، ثمّ تطوّرت إلى معنى آخر، وكان من حصيلة التطوّر هو تقديم الإيمان وتأخير العمل!

و الجهمية نتيجة أفكار «جهم بن صفوان» المتوفّى سنة(۱۲۸ ه.).

و المعتزلة تستمدّ اَصولها من واصل بن عطاء تلميذ الحسن البصرى المتوفّى عام(۱۳۰ ه.)، وهكذا القدرية والكرامية والظاهرية والأشعرية، فجميعها فرق نتجت عن البحث الكلامى وصقلها الجدل عبر القرون، فلاتجد لهذه الفرق سنداً متصلًا بالنبى الأكرم(ص)؛

و أمّا عقائد الشيعة الإمامية فعلى النقيض من ذلك، ولا صلة فى نشأتها بينها وبين تلك الفرق؛ لأنّها اخذت أساساً من مصادر التشريع الحقيقية للإسلام، وهى: الذكر الحكيم أوّلًا، والسّنة النبوية ثانياً، وخطب الإمام على(ع) وكلمات العترة الطاهرة(عليهم السلام) الصادرة من النّبى الأكرم(ص) ثالثاً. فلأجل ذلك يحدّد تاريخ عقائدهم بتاريخ الإسلام وحياة أئمّتهم الطاهرين.

إلّا أنّ الأمر الجدير بالذكر هو أنّ المرتكز الأساسى لبناء العقيدة الخاصّة بالشيعة الإمامية هو الاعتقاد بأنّ الإمام علياً منصوص عليه بالوصاية الخاصة على لسان النبى الأكرم(ص)

ص: ۸۷

وأنّه وعترته الطاهرة هم المرجع الأعلى بعد الذكر الحكيم، وهذا هو العنصر المقوّم للتشيع.

و أمّا سائر الاصول فإنّها عقائد إسلامية لاتختصّ بالشيعة الإمامية وحدها.

الفرق بين الشيعة الإمامية والمعتزلة

إنّ المتأمل فى مجمل عقائد هاتين الفرقتين يمكنه أن يتبيّن بوضوح جوانب الاتّفاق والاختلاف بينهما:

الشفاعة: قالت الإمامية والأشاعرة: إنّ النبى(ص) يشفع لأهل الكبائر بإسقاط العقاب عنهم أو بإخراجهم من النّار؛ وقالت المعتزلة: لايشفع(ص) إلّا للمطيعين المستحقّين للثواب، وتكون نتيجة الشفاعة ترفيع الدرجة.

مرتكب الكبيرة: هو عند الأمامية والأشاعرة مؤمن فاسق، وقالت المعتزلة: بل منزلته بين المنزلتين، أى بين الكفر والإيمان.

الجنّة والنار: قالت الإمامية والأشاعرة: إنّهما مخلوقتان الآن بدلالة الشرع على ذلك، وأكثر المعتزلة يذهب إلى أنّهما غير موجودتين.

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر: اتّفق المسلمون على

ص: ۸۸

وجوبهما؛ فقالت الإمامية والأشاعرة: يجبان سمعاً، ولولا النصّ لم يكن دليل على الوجوب، خلافاً للمعتزلة الذين قالوا: بوجوبهما عقلًا.

الإحباط: اتفقت الإمامية والأشاعرة على بطلان الإحباط، وقالوا: لكلّ عمل حسابه الخاصّ، ولاترتبط الطاعات بالمعاصى ولاالمعاصى بالطاعات، والإحباط يختصّ بذنوب خاصّة كالشرك وما يتلوه، بخلاف المعتزلة حيث قالوا: إنّ المعصية المتأخرة تسقط الثواب المتقدّم فمن عبدالله طول عمره ثمّ كذب فهو كمن لم‌يعبد الله أبداً!

الشرع والعقل: تشدّدت المعتزلة فى تمسّكهم بالعقل، وتشدّد أهل الظاهر فى تمسّكهم بظاهر النصّ، وخالفهما الإمامية.

اتفقت الإمامية والأشاعرة على أنّ قبول التوبة بفضل من الله، ولايجب عقلًا إسقاطها للعقاب، وقالت المعتزلة: إنّ التوبة مسقطة للعقاب على وجه الوجوب.

اتّفقت الإمامية على أنّ الأنبياء أفضل من الملائكة، وأجمعت المعتزلة على خلاف ذلك.

اتّفقت الإمامية على أنّ الإنسان غير مسيّر ولا مفوّض إليه، بل هو فى ذلك المجال بين الأمرين، بين الجبر والتفويض،

ص: ۸۹

وأجمعت المعتزلة على التفويض.

اتفقت الإماميـة والأشاعرة على أنّه لابـدّ فى أوّل التكليف وابتـدائه من رسول، وخالفت المعتزلة وزعموا أنّ العقول تعمل بمجرّدها عن السمع.

هذه هى الاصول التى خالفت الإمامية فيها المعتزلة، ووافقت فيها الأشاعرة.

الفرق بين الشيعة الإمامية والأشاعرة

هناك اصول خالفت الإمامية فيها الأشاعرة، مخالفة بالدليل والبرهان وتبعاً لأئمتهم. ونذكر المهّم منها:

۱- اتّحاد [عينية] الصفات الذاتية مع الذات: إنّ لله سبحانه صفات ذاتية كالعلم والقدرة، فهى عند الأشاعرة صفات قديمة مغايرة للذات زائـدة عليها، وهى عنـد الإمامية عين الذات، وعند المعتزله الذات معطّلة من الصـفات والذات نائبة مناب الصـفات، بمعنى أنه ليس لها علم ولكن فعلها عن علم وليس لها قدرة ولكن فعلها عن قدرة.

۲- الصـفات الخبريـة الواردة فى الكتاب والسـنّة، كالوجه والأيدى والاسـتواء وأمثالها، فالشـيعة الإمامية يؤوّلونها تأويلًا مقبولًا، لا تأويلًا مرفوضاً، أى إنّ معنى:(بَلْ يَداهُ

ص: ۹۰

مَبْسُوطَتانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشاءُ) (۱) أنّه بريءٌ من البخل، بل هو باذل وسخى وقادر على البذل؛ وأمّا الأشاعرة وأهل الحديث والحنابلة فهم يفسّرونها بالمفهوم التصوّرى ويقولون: إنّ لله سبحانه يدين، إلّا أنّهم يتهرّبون عن التجسيم والتشبيه بقولهم: بلا كيف أو لا كأيدينا!

۳- أفعال العباد عند الإمامية صادرة من نفس العباد، فالإنسان هو الفاعل لأفعاله بقدرة مكتسبة من الله، وإنّ قدرته المكتسبة هى المؤثّرة بإذن من الله سبحانه.

و أمّا الأشاعرة فذهبوا إلى أنّ أفعال العباد مخلوقة لله سبحانه، فليس للإنسان فيها صنع ولا دور وليس لقدرته أىّ تأثير فى تحقّق الفعل، وأقصى ما عندهم أنّ إرادة الإنسان للعقل تقارن إيجاد الله سبحانه فعله فى عالم التكوين والوجود، فقالوا: «إنّ الله هو الخالق، والإنسان هو الكاسب» إلّا أنّها نظرية غريبة غير مفهومة ومليئة بالألغاز التى عجز عن فهمها وإيضاحها حتّى مبتدعوها أنفسهم!

۴- إنّ الاستطاعة فى الإنسان على فعل من الأفعال تقارنه تارة وتتقدّم عليه أخرى، فلو أريد من القدرة: العلّة التّامة فهى

۱- مائده: ۶۴.

ص: ۹۱

مقارنة، ولو أريد العلة الناقصة فهى متقدّمة، خلافاً للأشاعرة فقد قالوا بالتقارن مطلقاً.

۵- رؤية الله بالأبصار فى الآخرة: فهى مستحيلة عند الإمامية والمعتزلة، ممكنة عند الأشاعرة.

۶- كلامه سبحانه عند الإمامية هو فعله، فهو حادث لاقديم، وهذا خلافاً للأشاعرة: فكلامه عبارة عن الكلام النفسى القائم بذاته، فهو قديم كقدم الذات.

۷- التحسين والتقبيح العقليان: ذهبت الإمامية إلى أنّ العقل يدرك حسن بعض الأفعال أو قبحها، بمعنى أنّ نفس الفعل من أىّ فاعل صدر، سواء أكان الفاعل قديماً أو حادثاً، واجباً أو وممكناً، يتّصف بأحدهما ويتلّقاه حكماً مطلقاً سائداً على مرّ الحقب والأزمان، لا يغيّره شىءٌ؛ وهذا خلافاً للأشاعرة، فقد عزلوا العقل عن إدراك الحسن والقبيح، وبذلك خالفوا الإمامية والمعتزلة فى الفروع المترتّبه عليه.

هذا، وإنّ الشيعة وإن خالفوا فى هذه الاصول طائفة من الطوائف الإسلامية ووافقوا طوائف اخرى، ولكن هناك اصول اتّفق الجميع فيها دون استثناء، أفما آن للمسلمين أن يتّحدوا فى ظلّ هذه الاصول المؤلّفة لقلوبهم، ويستظلّوا بظلالها ويتمسّكوا

ص: ۹۲

بالعروة الوثقى، ولا يصغوا إلى النعرات المفرّقة المفترية على الشيعة وأئمتهم؟!

الفرق بين الشيعة الإمامية وسائِر الفرق

إذا تعرّفت على الفوارق الموجودة بين الشيعة وبعض طوائف المسلمين؛ فهلمّ معى إلى الفوارق الجوهرية بينهم وبين سائر الطوائف التى صيّرتهم إلى الفرقتين متمايزتين واكثرها يرجع إلى مسألة القياده والخلافة بعد الرسول‌الأكرم(ص)، فنأخذ بالبحث عنها على وجه الإجمال.

المسألة الاولى: «وجوب تنصيب‌الإمام‌على الله‌سبحانه»

تتّفق جميع الفرق الإسلامية على أصل وجوب نصب الإمام سوى العجاردة من الخوارج ومنهم حاتم الأصمّ أحد شيوخ المعتزلة(ت ۲۳۷ ه.).

فالشيعة يذهبون إلى وجوبه على الله تعالى، وباقى الفرق على الامّة!

و ليس المراد من وجوبه على الله سبحانه هو إصدار الحكم من العباد على الله‌سبحانه حتّى يقال(إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ) (۱)، بل

۱- يوسف: ۴۰.

ص: ۹۳

المراد كما ذكرنا غير مرّة: أنّ العقل- حسب التعرّف على صفاته سبحانه، من كونه حكيماً غير عابث- يكشف عن كون مقتضى الحكمة هو لزوم النصب، فالعباد أقصر من أن يكونوا حاكمين على الله سبحانه.

ثم إنّ اختلاف المسلمين فى كون النصب فرضاً على الله أو على الأمّة ينجم عن اختلافهم فى حقيقة الخلافة والإمامة عن رسول الله(ص)، فمن ينظر إلى الإمام بوصفه رئيس دولة ليس له وظيفة إلّا تأمين الطرق والسبل وتوفير الأرزاق وإجراء الحدود والجهاد فى سبيل الله إلى غير ذلك ممّا يقوم به رؤساء الدول بأشكالها المختلفة، فقد قال بوجوب نصبه على الأمّة، إذ لايشترط فيه من المواصفات إلّا الكفاءة والمقدرة على تدبير الامور، وهذا ما يمكن أن تقوم به الأمّة الإسلامية.

و أمّا على القول بأنّ الإمامة استمرار لوظائف الرسالة، فمن المتّفق عليه أنّ تعهّد هذا الأمر يتوّقف على توفّر صلاحيات عالية لا ينالها الفرد إلّا إذا حظى بعناية إلهيّة خاصّة، فيخلف النبى فى علمه بالاصول والفروع وفى سدّ جميع الفراغات الحاصلة بموته، ومن المعلوم أنّ هذا الأمر لاتتعرّف عليه الأمّة إلّا عن طريق الرسول، ولا يتوفّر وجوده إلّا بتربية غيبيّة

ص: ۹۴

وعنايـة سـماوية خاصّـة. وهكـذا فمن جعلها سـياسة زمنية وقتية يشـغلها فرد من الأمّة بأحد الطرق قال فى حقه: «بأنّ الإمام بعد الرسول أشـبه برئيس الدولـة أو أحـد الحكام وتنتخبه الأمّة الإسـلامية ... ولانرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولاننزع يـداً من طـاعتهم، ونرى طـاعتهم من طاعـة الله فريضـة ما لم‌يؤمروا بمعصـية، ونـدعو لهم بالصـلاح والمعافاة؛ والحـجّ والجهاد ماضيان مع اولى الأمر من المسلمين برّهم وفاجرهم إلى قيام الساعة، ولا يبطلهما شيءٌ ولاينقضهما (۱)»

و قـد اسـتدلّت الإمامية على وجوب نصب الإمام على الله سـبحانه بأنّ: وجود الإمام الذى اختاره الله سـبحانه مقرّب من الطاعات ومبعّد عن المعاصـى. ثمّ إنّك قـد تعرّفت على أنّ الرّسول الأكرم(ص)- وبوحى من الله سـبحانه- قام بنصب إماماً للأمّـة ليقود أمرهم ويسـدّ جميع الفراغـات الحاصـلة بلحوقه بـالرفيق الأـعلى وبـذلك حسم مـادة النزاع وقطع الطريق على المشاغبين، ولكنّه- وللأسف- تناسـت الأمّة وصية الرسول(ص) وأمره.

۱- العقيدة الطحاوية: ۳۸۷ ۳۷۹ و ....

ص: ۹۵

المسألة الثانية: «عصمة الإمام»

اشارة

تفرّدت الإمامية من بين الفرق الإسلامية بإيجابها عصمة الإمام من الذّنب والخطأ، مع اتّفاق غيرهم على عدمها.

حقيقة العصمة

العصمة قوة تمنع صاحبها من الوقوع فی المعصية والخطأ، حيث لايترک واجباً ولا يفعل محرّماً، مع قدرته على الترک والفعل، و إلّا لم يستحق مدحاً ولاثواباً. وإن شئت قال: إنّ المعصوم قد بلغ من التقوى حدّاً لا تتغلّب عليه الشهوات والأهواء وبلغ من العلم فی الشريعة وأحكامها مرتبة لا يخطأ معها أبداً.

و ليست العصمة فكرة ابتدعتها الشيعة، وإنّما دلّهم عليها فی حقّ العترة الطاهرة كتاب الله وسنّة رسوله، قال سبحانه:(إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرا) (۱)، وليس المراد من الرجس إلّا الرجس المعنوی، وأظهره هو الفسق.

۱- الأحزاب: ۳۳.

ص: ۹۶

و قال رسول الله(ص):

«على مع الحقّ والحقّ مع على يدور معه كيفما دار»

و من دار معه الحقّ كيفما دار محال أن يعصى أو أن يخطأ؛ وقوله فى حقّ العترة،

«إنّى تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتى ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبداً»

، فإذا كانت العترة عدل القرآن والقرآن هو كلام الله تعالى، فمن المنطقى أن تكون معصومة حتى لا يخالف أحدهما الآخر.

«الدليل على لزوم عصمة الإمام بعد النبى (ص)»

يمكن الاستدلال على لزوم العصمة فى الإمام بوجوه متعدّدة نورد أهمّها:

الوجه الأوّل: إنّ الإمامة إذا كانت استمراراً لوظيفة النبوّة والرسالة وكان الإمام يملأ جميع الفراغات الحاصلة جرّاء رحلة النبى الأكرم(ص) فلامناص من لزوم عصمته؛ وذلك لأنّ الغاية هى هداية الأمّة إلى الطريق المهيع، ولايحصل ذلك إلّا بالوثوق بقوله والاطمئنان بصحّة كلامه، فإذا جاز على الإمام الخطأ والنسيان والمعصية والخلاف ضعفت ثقة الناس به، فتنتفى الغاية من نصبه.

الوجه الثانى: قوله سبحانه:(أَطِيعُوا اللَّهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ

ص: ۹۷

وأُولِى الأَمْرِ مِنْكُمْ) (۱) والاستدلال مبنى على دعامتين:

۱- إنّ الله سبحانه أمر بطاعة اولى الأمر على وجه الإطلاق، ولم‌يقيد وجوب امتثال أوامرهم ونواهيهم بشيءٍ.

۲- إنّ من البديهى كونه سبحانه لايرضى لعباده الكفر والعصيان. (۲) من غير فرق بين أن يقوم به العباد ابتداءً من دون تدخّل أمر آمر ونهى ناهٍ أو يقدمون عليه بعد صدور أمر ونهى من اولى الأمر.

فستكشف من إطلاق الأمر بالطاعة اشتمال المتعلّق على خصوصية تصدّه عن الأمر بغير الطاعة، وممّن صرّح بدلالة الآية على العصمة الإمام الرازى فى تفسيره؟! (۳) الوجه الثالث: قوله سبحانه:(وَ إِذِ ابْتَلى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قالَ إِنِّى جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً قالَ ومِنْ ذُرِّيَّتِى قالَ لا يَنالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ). (۴) والاستدلال بالآية على عصمة الإمام يتوقّف على تحديد مفهوم الإمامة الواردة فى الآية وأنّ المقصود منها غير النّبوة والرسالة؛ لانّ إبراهيم كان نبياً ورسولًا وقائماً

۱- نساء: ۵۹.

۲- زمر: ۷.

۳- مفاتيح الغيب: ۱۰/ ۱۴۴.

۴- بقره: ۱۲۴.

ص: ۹۸

بوظائفهما طيلة سنين حتى خوطب بهذه الآية، فالمراد من الإمامة فى المقام هو منصب القيادة وتنفيذ الشريعة فى المجتمع بقوّة وقدرة. وحكومة إلهية يبلغ المجتمع بها إلى السعادة.

ما هو المراد من الظالم؟

أنّ الإمامة منصب إلهى لاينـاله الظـالمون؛ لأنّ الإمـام هـو المطـاع بين النـاس المتصـرّف فى الأمـوال والنفوس، فيجب أن يكون على الصـراط السوى، والظالم المتجاوز عن الحدّ لايصلح لهذا المنصب؛ كما أنّ الظالم الناكث لعهدالله والناقض لقوانينه وحدوده على شفا جرف هارٍ لايؤتمن عليه ولاتلقى إليه مقاليـد الخلافـة؛ لانّه على مقربـة من الخيانـة والتعّـدى وعلى اسـتعداد لأن يقع أداة للجائرين. إنّ المتلبس بالظلم- ولو آناً ما- يسلب عن الإنسان صلاحية الإمامة وإن تاب من ذنبه؛ فإنّ الناس بالنسبة إلى الظلم على اقسام أربعة:

۱- من كان طيلة عمره ظالماً.

۲- من كان طاهراً ونقياً فى جميع فترات عمره.

۳- من كان ظالماً فى بداية عمره وتائباً فى آخره.

۴- من كان طاهراً فى بداية عمره وظالماً فى آخره.

ص: ۹۹

إنّ من غیر المعقول والبدیهی أن یسأل خلیل الله تعالی الإمامة لأصحاب القسمین الأوّل والرابع من ذرّیته، لوضوح أنّ الغارق فی الظلم من بدایة عمره إلی آخره أو المتّصف به أیام تصدّیه للإمامة لایصلح أن یؤتمن علیها.

و لمّا کان الله تعالی قد نفی امتلاک الإمامة من قبل الظالم مطلقاً حتی لو کان الظالم فیما سبق وهو القسم الثالث، فلا مناص من الجزم بتعلّقها بالقسم الثانی وحده دون باقی الأقسام.

العصمة فی القول والرأی

إنّ الأئمّة معصومون عن العصیان والمخالفة أوّلًا وعن الخطأ والزلّة فی القول ثانیاً، وما ذلک إلّا لأنّ کلّ إمام من الأوّل إلی الثانی عشر قد أحاط إحاطة شاملة کاملة بکلّ ما فی هذین الأصلین، بحیث لا یشذّ عن علمهم معنی آیة من آی الذکر الحکیم تنزیلًا وتأویلًا، ولاشیء من سنّة رسول‌الله(ص) قولًا وفعلًا وتقریراً، وکفی بمن أحاط بعلوم الکتاب والسّنة فضلًا وعلماً وقد أخذ أهل البیت(علیهم السلام) علوم الکتاب والسّنة وفهموها عن رسول الله(ص) تماماً کما أخذها ووعاها رسول الله(ص) عن جبرئیل وکما وعاها جبرئیل عن الله، ولافرق أبداً فی شیءٍ إلّا بالواسطة، ومنهم انتقلت هذه العلوم إلی الآخرین.

ص: ۱۰۰

المسألة الثالثة: «الإمام المنتظر]»

إنّ جميع المسلمين يتفقون أساساً على فكرة قيام المهدى وما سيعمّ الأرض فى عهده من العدل والأمن والخير العميم وإن كان هناك اختلاف ما يذكر فى مضمون هذا الأمرالعظيم؛ فإنّ الأكثرية من أهل السّنة يقولون بأنّه سيولد فى آخرالزمان، وأمّا الشيعة ولاستنادهم على جملة واسعة من الروايات والأدلة الصحيحة يذهبون إلى أنّه ولد فى «سرّ من رأى» عام ۲۵۵ ه. وهو يحيى حياة طبيعية كسائرالناس غير أنّ الناس يرونه ولايعرفونه، وسوف يظهره الله سبحانه ليحق عدله. (۱)

المسألة الرابعة: التقية

اشارة

«مفهومها، غايتها، دليلها، حدّها فى ضوء الكتاب والسنّة»

التقية، اسم ل- «اتّقى؛ يتّقى» والتاء بدل من الواو، وأصله من «الوقاية»، ومن ذلك إطلاق التقوى على إطاعة الله، لأنّ المطيع يتّخذها وقاية من النّار والعذاب، والمراد هو التحفّظ عن ضرر الغير بموافقته فى قول أو فعل، مخالف للحقّ، وهو إظهار الكفر وإبطان الإيمان أو التظاهر بالباطل وإخفاء الحقّ، فهى تقابل

۱- نور: ۵۵، الأنبياء: ۱۰۵ وقصص: ۵.

ص: ۱۰۱

النفاق؛ فانّ النفاق عبارة عن إظهار الإيمان وإبطان الكفر والتظاهر بالحقّ وإخفاء الباطل.

«غايتها»

الغايـة من التقيـة: هى صـيانة النّفس والعِرض والمال؛ وذلك فى ظروف قاهرة لايسـتطيع فيها المؤمن أن يعلن عن موقفه الحقّ صـريحاً خوفاً من أن يترتّب على ذلك مضارّ وتهلكة من قوى ظالمة غاشـمة، كلجوء الحكومات الظالمة إلى الإرهاب والتشـريد والنفى والقتل والتنكيل ومصادرة الأموال وسـلب الحقوق الحقّة، فلا يكون لصاحب العقيدة الذى يرى نفسه محقّاً محيص عن إبطانها إلى أن يحدث الله بعـد ذلك أمراً، كما كان عليه مؤمن آل فرعون الـذى حكاه سـبحانه فى الـذكر الحكيم. (۱) فإذا كان هـذا معنى التقية ومفهومها وكانت هـذه غايتها وهـدفها، فهو أمر فطرى يسوق الإنسان إليه قبل كلّ شـىءٍ عقله ولبّه، وتدعوه إليه فطرته؛ ولأجل دعم هذا الأصـل الحيوى ندرس دليله من القرآن والسّنة.

۱- قصص: ۲۰.

ص: ۱۰۲

«دليلها فى القرآن والسنّة»

... الآيـة الاـولى:(مَنْ كَفَرَ بِـاللَّهِ مِنْ بَعْـدِ إِيمانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمانِ ولكِنْ مَنْ شَـرَحَ بِالْكُفْرِ صَـدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ ولَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ) (۱) ترى أنّه سبحانه بجوّز إظهار الكفر كرهاً ومجاراةً للكافرين خوفاً منهم بشرط أن يكون القلب مطمئناً بالإيمان، قال الطبرسى(رحمة الله): قد نزلت الآية فى جماعة اكرهوا على الكفر وهم عمّار وأبوه ياسر وأمّه سميّه.

الآيـة الثانيـة: قـال سـبحانه:(لاـ يَتَّخِـذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكـافِرِينَ أَوْلِياءَ ... إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً ويُحَـذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وإِلَى اللَّهِ الْمَصِـيرُ) (۲)، وكلمـات المفسّـرين حول الآيـة تغنينـا عن أىّ توضـيح. قال الزمخشـرى: رخّص لهم فى موالاتهم إذا خافوهم، والمراد بتلك الموالاة: مخالفة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئنّ بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع.

الآيـة الثالثة: قال تعالى:(وقالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ ... فَوَقاهُ اللَّهُ سَيِّئاتِ ما مَكَرُوا وحاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ

۱- نحل: ۱۰۶.

۲- آل عمران: ۲۸.

ص: ۱۰۳

سُوءُ الْعَذابِ) (۱) وما كان ذلك إلّا لأنّه بتقيته إستطاع أن ينجى نبى الله من الموت.

«الظروف العصيبة الّتى مرّت بها الشيعة»

اشارة

الّذى دفع بالشيعة إلى التقية بين إخوانهم وأبناء دينهم إنّما هوالخوف من السلطات الغاشمة؛ فلو لم‌يكن هناك فى غابرالقرون- من عصرالأمويين ثمّ العباسيين والعثمانيّين أىّ ضغط على الشيعة، ولم‌تكن بلادهم وعقر دارهم مخضبة بدمائهم والتاريخ خير شاهد على ذلك، فهل من المعقول أن تنسى الشيعة كلمة التقية وأن تحذفها من ديوان حياتها ولكن ياللأسف!

قال العلّامة الشهرستانى: إنّ التقية شعار كلّ ضعيف مسلوب الحرّية، إنّ الشيعة قد اشتهرت بالتقية أكثر من غيرها، لأنّها منيت باستمرار الضغط عليها أكثر من أيّة أمّةٍ اخرى ... ولأجله استشعروا بشعار التقية أكثر من أىّ قوم؛ ... متبعة فى ذلك سيرة الأئمّة من آل محمد(عليهم السلام) وأحكامهم الصارمة حول وجوب التقية من قبيل: ما روى عن صادق آل البيت(عليهم السلام) فى الأثر الصحيح: «التقية دينى ودين آبائى» و «من لاتقية له لا دين له».

۱- غافر: ۲۸.

ص: ۱۰۴

حدّ التقية

إنّ مجال التقيـة إنّما هو فی حـدود القضايا الشخصـية الجزئيـة عنـد وجود خوف علی النفس والنفيس، وأمّا الأمور الكلّية الخارجة عن إطار الخوف فلا تتصوّر فيها التقية.

و الحاصل: أنّ الشـيعة إنّما كانت تتّقی فی عصـر لم تكن لهم دولـة تحميهم ولا قدرة ولا منعة تدفع عنهم الأخطار، وأمّا هذه الأعصار فلا مسوّغ ولا مبرّر للتقية إلّا فی موارد خاصّة؛ إذ أنّ الشيعة لم تلجأ إلی التقية إلّا بعد أن اضطرّت إلی ذلك.

«التقية المحرّمة»

إنّ التقيـة تنقسم حسب الأحكام الخمسة، فكما أنّها تجب لحفظ النفوس والأعراض والأموال، فإنّها تحرم إذا ترتّب عليها مفسدة أعظم كهـدم الـدين وخفاء الحقيقـة علی الأجيال الآتيـة وتسـلّط الأعـداء علی شؤون المسـلمين وحرماتهم ومقـدّساتهم؛ فالتقية أمام الحاكم الجـائر كيزيـد بن معاويـة مثلًا محرّمـة، إذ فيها الـذلّ والهوان ونسـيان المثل والرجوع إلی الوراء، فليست التقيـة فی جوازها ومنعها تابعة للقوّة والضعف، وإنّما تحدّدها جوازاً ومنعاً مصالح الإسلام والمسلمين.

ص: ۱۰۵

و من هـذا البـاب مـا إذا كـان المتقّى ممّن له شأن وأهميـة فى نظر الخلق، بحيث يكون ارتكابه لبعض المحرّمات تقيـة أو تركه لبعض الواجبات كـذلك ممّا يعـدّ موهناً للمـذهب وهاتكاً لحرمه؛ فانّ التقيـة فى مثلها غير جائزة، ضـرورة أنّ تشـريعها لبقاء المـذهب وحفظ الأصول وجمع شـتات المسـلمين لإقامة الدين واصوله، فإذا بلغ الأمر إلى هدمها فلا تجوز التقية، وهى فيما إذا كان الخوف قائماً، وأمّا إذا ارتفع الخوف والضغط فلا موضع للتقية لغاية الصيانة.

نحن ندعو المسلمين للتّأمل فى الدواعى الّتى دفعت بالشيعة إلى التقية، وأن يعلموا قدر الإمكان على فسح المجال لإخوانهم فى الدين، فإنّ لكلّ فقيه مسـلم رأيه ونظره وجهـده وطاقته. إنّ الشـيعة يقتفون أثر أئمّـة أهل البيت فى العقيدة والشـريعة ويرون رأيهم؛ لأنّهم هم الـذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وأحـد الثقلين اللّـذين أمر الرسول بالتمسّـك بهما فى مجال العقيـدة والشـريعة، وهما حجة على الجميع!

المسألة الخامسة: «البداء عند الشيعة الإمامية»

اشارة

لتوضيح حقيقة البداء نأتى بمقدّمات:

المقدمة الأولى: اتّفقت الشيعة على أنه سبحانه عالم بالحوادث

ص: ۱۰۶

كلّها غابرها وحاضرها ومستقبلها، لايخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السّماء، فلا يتصوّر فيه الظهور بعد الخفاء ولا العلم بعد الجهل، ويدلّ عليه الكتاب والسّنة، مضافاً إلى البراهين الفلسفية المقررّة فى محلّها:

أمّا من الكتاب: قوله سبحانه:(ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِى الأَرْضِ ولا فِى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ). (۱) و أمّا الأخبار: قال الإمام موسى الكاظم(ع): لم يزل الله عالماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء كعلمه بالأشياء بعد ما خلق الأشياء.»

و أمّا العقل: فقد دلّ على امتناع البداء عليه بمعنى الظهور بعد الخفاء؛ لاستلزامه كون ذاته محلّاً للتغيّر والتبدّل المستلزم للتركيب والحدوث إلى غير ذلك ممّا يستحيل عليه سبحانه.

المقدّمة الثانية: كما دلّت الآيات والأحاديث على أنّه سبحانه لم‌يفرغ من أمر الخلق والإيجاد والتدبير والتربية، دلّت على أنّ مصير العباد يتغيّر بحسن أفعالهم وصلاح أعمالهم، من الصدقة والإحسان وصلة الأرحام وبرّ الوالدين من الأمور الّتى تغيّر

۱- الحديد: ۲۲.

ص: ۱۰۷

المصیر وتبدّل القضاء، کما أنّ المحرّم الأعمال وسیئها من قبیل البخل والتقصیر وسوءالخلق وقطیعة رحم تأثیراً فی تغییر مصیرهم.

فلیس للإنسان مصیر واحد ومقدّر فارد، یصیبه علی وجه القطع والبتّ، ویناله شاء أو لم یشأ. وهذا ممّا لا یمکن لمن له أدنی علاقة بالکتاب والسنّة.

البداء فی مقام الثبوت

إنّ حقیقة البداء أنّه سبحانه- علی خلاف ما اعتقده الیهود والنصاری فی حقه (۱)- یداه مبسوطتان(فی کلّ شیءٍ) یمحو ویثبت حسب مشیئته الحکیمة وإرادته النافذة، ومن شعب هذا الأمر هو أنّه سبحانه: یزید فی الرزق والعمر وینقص منهما (۲) وینزل الرحمة والبرکة کما ینزل البلاء والنقمة، ولاتصدر عنه الأمور جزافاً واعتباطاً، بل حسب ما تقتضیها حال العباد من حسن الأفعال وقبحها وصالح الأعمال وطالحها؛ فربّما یکون الإنسان مکتوباً فی الأشقیاء، ثم یُمحی فیکتب فی السعداء أو علی العکس بسبب ما یقوم به من أعمال؛ وبناء علی ذلک

۱- مائده: ۶۴.

۲- فاطر: ۱ و ۱۱، النحل: ۱۱۲، الأعراف: ۹۶، الطلاق: ۳.

ص: ۱۰۸

فالبداء بهذا المعنی ممّا یشترک فیه کلّ المسلمین، علی مذاهبهم المختلفة، من دون اختصاص بالشیعة.

هذا الأصل یستفاد بوضوح من قوله سبحانه:(یَمْحُوا اللَّهُ ما یَشاءُ ویُثْبِتُ وعِنْدَهُ أُمُّ الْکِتابِ) (۱) وأنّه لیس کلّ تقدیر حتمیاً لا یغیّر ولایبدّل وأنّ لله سبحانه لوحین: لوح المحو والإثبات ولوح «أمّ الکتاب»، والّذی لایتطرّق التغییر إلیه هو الثانی دون الأوّل، وأنّ القول بسیادة القدر علی اختیار الإنسان فی مجال الطاعة والمعصیة قول بالجبر الباطل بالعقل والضرورة ومحکمات الکتاب، فکما أنّه سبحانه یداه مبسوطتان، کذلک العبد مختار فی أفعاله لامسیّر وحرّ فی تصرّفاته لا مجبور، له أن یغیّر مسیره ومقدّره، فالله سبحانه کما یمحو ویثبت فی التکوین فیحیی ویمیت، کذلک یمحو مصیر العبد ویغیره حسب ما یغیّر العبد بنفسه(فعله وعمله)؛ لقوله سبحانه:(إِنَّ اللَّهَ لایُغَیِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّی یُغَیِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ) (۲) و لیس فی ذلک أیّ محذور ولا مخالفة لعقل ولا الکتاب والسنّة، بل تغییر القضاء بحسن الفعل وتغییر القدر بسوئه، هو أیضاً من قدره وقضائه وسننه الّتی لا تبدیل لها ولا تغییر.

۱- الرعد: ۳۹.

۲- همان: ۱۱.

ص: ۱۰۹

الأثر التربوی للإعتقاد فی البداء:

الاعتقاد بالمحو والإثبات وأنّ العبـد قادر علی تغییر مصـیره بأفعاله وأعماله، یبعث الرجاء فی قلب من یریـد أن یتطهّر وینمی نواة الخیر الکامنة فی نفسه، فتشـریع البداء مثل تشـریع قبول التوبة والشفاعة وتکفیر الصغائر بالاجتناب عن الکبائر کلّها لأجل بعث الرجاء وإیقاد نوره فی قلوب العصاة والعتاة حتّی لاییأسوا من روح الله.

فجمیع هذا من باب الرحمة الإلهیة لأجل بثّ الأمل فی قلب الإنسان؛ وعلی هذا فالاعتقاد بذلک من ضـروریات الکتاب وصریح آیاته وأخبارالهدایة.

«البداء فی مقام الإثبات»

لقـد أشار سـبحانه إلی لوح المحو والإثبات بقوله:(یَمْحُوا اللَّهُ ما یَشاءُ ویُثْبِتُ وعِنْدَهُ أُمُّ الْکِتابِ) (۱)، فالأحکام الثابتة فیه أحکام معلّقة علی وجـود شـرطها أو عـدم مانعهـا، فـالتغیّر فیهـا لأجـل إعـواز شـرطها أو لوجـود مانعهـا، فمثلًـا یمکن أن یکتب فیه الموت نظراً إلی مقتضیاته فی الوقت المعیّن المتّصل بالمقتضیات،

۱- الرعد: ۳۹.

ص: ۱۱۰

إلّا أنّه ربّما يُمحى ويؤجّل ويكتب بدله توفّر الصحّة لفقدان شرط التقدير الأوّل أو طروّ مانع من تأثير المقتضى.

إذا علمت ذلك فاعلم: أنّه ربّما يتّصل النبى أو الولى بلوح المحو والإثبات فيقف على المقتضى من دون أن يقف على شرطه ومانعه، فيخبر عن وقوع شى ما، ولكنّه ربّما لايتحقّق لأجل عدم تحقّق شرطه أو عدم تحقّقه لوجود مانعه، وذلك هو البداء فى عالم الإثبات.

«تلميحات للبداء فى الذكر الحكيم:»

اشارة

۱- قال سبحانه:(قالَ يا بُنَيَّ إِنِّى أرى فِى الْمَنامِ أَنِّى أَذْبَحُكَ) (۱) وقوله:(وَ فَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) (۲).

۲- قوله سبحانه:(فَلَوْ لا كانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إِيمانُها إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنا عَنْهُمْ عَذابَ الْخِزْيِ فِى الْحَياةِ الدُّنْيا ومَتَّعْناهُمْ إِلى حِينٍ) (۳) ۳- قوله سبحانه:(وَ واعَدْنا مُوسى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وأَتْمَمْناها بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) (۴)

۱- الصافات: ۱۰۱.

۲- يونس: ۱۰۷.

۳- يونس: ۹۸.

۴- اعراف: ۱۴۲.

ص: ۱۱۱

هـذه جملـة الأخبار الّتی تحـدّث بها الـذکر الحکیم عن أحداث ووقائع کان النبیون قد أخبروا بحتمیة وقوعها علی حدّ علمهم، إلّا أنّها لم تتحقّق، وعنـدها لامناص من تفسـیرها بوقوف أنبیاء الله تعالی علی المقتضـی دون العلّـة التّامـة؛ فعنـدما یظهر عدم التحقّق یطلق علیه البـداء، والمراد به أنّه بـدا من الله لنبیه وللنّاس ما خفی علیهم، علی غرار قوله سـبحانه:(وَ بَـدا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ ما لَمْ یَکُونُوا یَحْتَسِـبُونَ) (۱)، فالبـداء إذا نسب إلی الله سـبحانه فهو بـدا منه، وإذا نسب إلی الناس فهو بـدا لهم؛ وبعبارة أخری: البداء من الله هو إظهار ما خفی علی الناس، والبداء من النّاس بمعنی ظهور ما خفی لهم، وهذا هو الحقّ الصراح الذی لایرتاب فیه أحد.

تتمه البحث

الأمر الأول

و بالجمله یجب أن یکون وقوع البـداء مقروناً بما یـدلّ علی صـحّة إخبار النبی(ص)، ولا یکون البـداء علی وجه یعـدّ دلیلًا علی کذبه، ففی هذه الموارد دلّت القرائن علی أنّ المخبر کان صادقاً فی خبره.

۱- زمر: ۴۷.

ص: ۱۱۲

الأمرالثانی:

إنّ البـداء لا یتحقق فیما یتعلّق بنظام النبوّة والولایـة والخاتمیـة والملاحم الغیبیـة التی تعدّ شـعاراً للشـریعة؛ لأنّ احتمال البداء فیه ناقض للحکمة وموجب لظلال العباد. وهذا ما یستحیل علی الله سبحانه؛ وانّما مصبّ البداء هو القضایا الجزئیة أو الشخصیة، کما هو الحال فی الأخبار الماضیة.

المسألة السادسة: «الرجعة فی الکتاب والسّنة»

إنّ فکرة الرجعة ممّا یشـنّع بها علی الشـیعة غیر أنّ هؤلاء نسوا أو تناسوا أنّ الرجعة بمعنی عود جماعة قلیلة إلی الحیاة الدنیویة قبل یوم القیامـة ثمّ مـوتهم وحشـرهم مجـدّداً یـوم القیامـة لیس شـیئاً یضـادّ اصول الـدین، ولیس فیه إنکـار لأیّ حکم ضـروری، ولیس القول برجعتهم إلی الدنیا یلغی بعثهم یوم القیامة، وکیف لایکون کذلک، وقد أخبر سبحانه عن رجوع جماعة إلی الحیاة الدنیویة؟! نظیر:

۱- إحیاء جماعة من بنی إسرائیل. (۱) ۲- إحیاء قتیل بنی إسرائیل. (۲)

۱- بقره: ۵۵- ۵۶.

۲- بقره: ۷۲- ۷۳.

ص: ۱۱۳

۳- موت ألوف من النّاس وبعثهم من جديد. (۱) ۴- بعث عزير بعد مئة عام من موته. (۲) ۵- إحياء الموتى على يد عيسى(ع). (۳) إنّ الإعتقاد بالذكر الحكيم يجرّنا إلى القول بأنّه ليس كلّ رجوع إلى الدنيا تناسخاً، وإنّما التناسخ الباطل عبارة عن رجوع الإنسان إلى الدنيا عن طريق النطفة والمرور بمراحل التكوّن البشرى من جديد ليصير إنساناً مرّةً اخرى.

اتّفقت الشيعة على بطلان التناسخ وامتناعه غير أنّ الرجوع إلى الدنيا من خلال دخول الروح إلى البدن الذى فارقه عند الموت لايعدّ تناسخاً، وإنّما هو إحياء للموتى الذى كان معجزة من معاجز المسيح(ع)، وهو أمر ممكن وأنّ بعض الآيات والروايات تدلّ على أنّه سيتحقّق، قال سبحانه:(وَ إِذا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كانُوا بِآياتِنا لا يُوقِنُونَ* ويَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّنْ

۱- همان: ۲۴۳.

۲- همان: ۲۵۹.

۳- آل عمران: ۴۹.

ص: ۱۱۴

يُكَذِّبُ بِآياتِنا فَهُمْ يُوزَعُونَ) (۱) لايشكّ من أمعن النظر فى سياق الآيات وماذكره المفسّرون حولها فى أنّ الآية الاولى تتعلّق بالحوادث التى تقع قبل يوم القيامة، وعليه تكون الآية الثانية مكمّلة لها وتدّل على حشر فوج من كلّ جماعة قبل يوم القيامة، والحال أنّ الحشر فى يوم القيامة يتعلّق بالجميع لابالبعض.

يقول سبحانه:(وَ يَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبالَ وتَرَى الأَرْضَ بارِزَةً وحَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً) (۲) و هذه الآيات تعرب عن الرجعة التى تعتقد بها الشيعة فى حقّ جماعة خاصّة، وأمّا خصوصياتها فلم يحدّث عنها القرآن الكريم، وجاء التفصيل فى السّنة.

المسألة السابعة: زواج المتعة

هو عبارة عن تزويج المرأة الحرّة الكاملة نفسها إذا لم يكن بينها وبين الزوج مانع من نسب أو سبب أو رضاع أو إحصان أو عدّة أو غيرذلك من الموانع الشرعية بمهر مسمّى إلى أجل مسمّى بالرضا والاتّفاق؛ فإذا انتهى الأجل تبين منه من غير

۱- نمل: ۸۲- ۸۳.

۲- كهف: ۴۷.

ص: ۱۱۵

طلاق، ويجب عليها مع الـدخول بها إذا لم‌تكن يائسـة أن‌تعتـدّ عدّة الطلاق إذا كانت ممّن تحيض، وإلّا فبخمسة وأربعين يوماً. ... وقد أجمع أهل القبلة على أنّه سبحانه شرّع هذا النكاح فى صدر الإسلام، ولم‌يشك أحدٌ فى أصل مشروعيته (۱).

وقد صحّ عن عمران بن الحصين إنّه قال «إنّ الله أنزل المتعة وما نسخها بآية اخرى وأمرنا رسول الله(ص) بالمتعة وما نهانا عنها، ثمّ قال رجل برأيه» يريد به عمر بن الخطّاب (۲).

إنّ الخليفـة الثانى لم‌يـدّع النسـخ، وإنّما أسـند التحريف إلى نفسه، ولو كان هناك ناسـخ من الله عزّوجلّ أو من رسوله لأسـند التحريم إليهمـا، وقـد اسـتفاض قول عمر وهو على المنبر: «متعتـان كانتـا على عهـد رسول الله(ص) وأنا أنهى عنهما واعاقب عليهما متعـة الحجّ ومتعـة النسـاء. ... وحىّ على خير العمـل.» وهو فى حـدّ ذاته يعتبر اجتهـاداً قبالـة النصّ الواضـح! ومن المعلوم أنّ إجتهـاده- لو صـحّت تسـميته بالاجتهاد- حجّـة على نفسه لا على غيره، على أنّ الأمر الذى ينبغى الإلتفات إليه وإدراكه بوضوح: أنّ الشـيعة ورغم إدراكهم وإيمانهم بحلّيّة زواج المتعة

۱- نساء: ۲۳- ۲۴.

۲- صحيح البخارى: ۶/ ۲۷.

ص: ۱۱۶

وعـدم تحريمه- وهو ما يعلنون عنه صـراحةً ودون تردّد- إلّا أنّهم عملياً لايلجأون إلى هـذا الزواج إلّا فى حدود ضـيّقة وخاصّة، وليس كما يصوّره ويتصوّره البعض من كونه ظاهرة متفشية فى مجتمعهم وبشكل مستهجن ممجوج.

المسألة الثامنة: متعة الحجّ

قوله سـبحانه:(فَإِذا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ واتَّقُوا اللَّهَ واعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ) (۱) صريح فى جوازالتمتّع بمحظورات الإحرام بعـد الإتيان بأعمال العمرة وقبل التوجّه إلى الحجّ، ولم‌يدّع أحد كونها منسوخة بآية أو قول أو فعل، بل أكّد النبى الأكرم(ص) تشـريعه بعمله فى العـام العاشـر من الهجرة. هـذا هو الـذكر الحكيم المـدعم بالسـنّة وإجماع الأمّـة، ومع ذلك نرى أنّ بعض الصـحابة لايروقه متعـة الحـجّ لا فى عصـر الرسالـة ولا بعـده، بل يفتى بتحريمها! وهذا هو الخليفة الثانى ومن لفّ لفّه الذين كانوا يقدّمون الآراء المزعومة على النصوص الشرعية مهما تضافرت وتواترت!

۱- بقره: ۱۹۶.

ص: ۱۱۷

المسألة التاسعة: مسح الأرجل فی الوضوء

اختلف المسلمون فی غسل الرجلین ومسحهما، فذهب الأئمة الأربعة إلی أنّ الواجب هو الغسل وحده، وقالت الشیعة الإمامیة: إنّه المسح، وقال داود بن علی والناصر للحقّ من الزیدیة: یجب الجمع بینهما، وهو صریح الطبری فی تفسیره، ونقل عن الحسن البصری: أنّه مخیّر بینهما!

و ممّا یثیرالعجب اختلاف المسلمین فی هذه المسألة، مع أنّهم رأوا وضوء رسول الله(ص) کلّ یوم ولیلة فی موطنه ومهجره وفی حضره وسفره، ومع ذلک اختلفوا فی أشدّ المسائل ابتلاءً، وهذا یعرب عن أنّ الاجتهاد لعب فی هذا المسألة دوراً عظیماً، فجعل أوضح المسائل أبهمها.

إنّ القول بالمسح هو المنصوص عن أئمّة أهل البیت(علیهم السلام)، وهم یسندون المسح إلی النبی الأکرم(ص) ویحکمون وضوءه به، قال أبوجعفر الباقر(ع): «ألا أحکی لکم وضوء رسول الله(ص)؟ ثمّ أخذ کفّاً من الماء فصبّها علی وجهه إلی أن قال: ثمّ مسح رأسه وقدمیه. ....» وفی ضوء هذه الروایات والمأثورات اتّفقت الشیعة الإمامیة علی أنّ الوضوء غسلتان ومسحتان.

ص: ۱۱۸

المسألة العاشرة: السجود على الأرض

لعلّ من أوضح مظاهر العبودية والانقياد والتذلّل من قبل المخلوق لخالقه هو السجود، فليس هناك أوضح فى إعلان التذلّل لله تعالى من السجود على التراب والرمل والحجر والحصى، لما فيه من تذلّل أوضح وأبين من السجود على الحصر والبوارى، فضلًا عن السجود على الألبسة الفاخرة والفرش الوثيرة والذهب والفضّة، وإن كان الكلّ سجوداً إلا أنّ العبودية تتجلّى فى الأوّل بما لاتتجلّى فى غيره (۱).

و الإمامية ملتزمة بالسجدة على الأرض فى حضرهم وسفرهم، ولا يعدلون عنها إلّا إلى ما أنبت منها من الحصر والبوارى بشرط أن لايؤكل ولا يلبس، ولايرون السجود على غيرهما صحيحاً فى حال الصلاة أخذاً بالسّنة المتواترة عن النبى الأكرم(ص) وأهل بيته وصحبه.

كثيراً ما يتصوّر أن الالتزام بالسجود على الأرض أو ما أنبتت منها بدعة، ويتخيّل الحجر المسجود عليه وثناً، وهؤلاء هم الّذين لا يفرّقون بين المسجود له والمسجود عليه! وقاس أمر

۱- الوسايل: ۱، الباب ۱، الحديث ۱.

ص: ۱۱۹

الموحّد بأمر المشرك بحجّة المشاركة فی الظاهر!

نعم، الساجد على التربة غير عابد لها، بل يتذلّل إلى ربّه بالسجود عليها، ومن توهّم عكس ذلك فهو من البلاهة بمكان، وسيؤدّی إلى إرباك كلّ المصلّين والحكم بإشراكهم، فمن يسجد على الفرش والقماش وغيره لابدّ أنيكون عابداً لها على هذه المنوال، فيا للعجب العجاب!!

إنّ النبی الأكرم(ص) وصحبه كانوا ملتزمين بالسجود على الأرض، وروى الفريقان عن النبی الأكرم(ص) أنّه قال: «وجعلت لی الأرض مسجداً وطهوراً»

و عن خالد الجهنی، قال: رأی النبی(ص) صهيباً يسجد كأنّه يتّقی التراب، فقال(ص) له: «ترّب وجهك يا صهيب (۱)»، وعن ميمونة: «ورسول الله(ص) يصلّی على الخمرة فيسجد» (۲) إلى هنا تبيّن أنّ التزام الشيعة باتّخاذ التربة مسجداً ليس إلّا تسهيل الأمر للمصلّی فی سفره وحضره خوفاً من أن لايجد أرضاً طاهرةً أو حصيراً طاهراً فيصعب الأمر عليه، وهذا كادّخار المسلم تربة طاهرة لغاية التيمّم عليها.

۱- المتقی الهندی، كنزالعمال: ۷/ ۴۶۵/ ح ۱۹۸۱۰.

۲- مسند أحمد ۳۳۱: ۱- ۳۳۵ وأيضاً ۳۰۲- ۳۰۹ و ۳۵۸ و ۲۶۹ و ۱۷۹ و ۳۷۷، و ۹۲- ۹۸.

ص: ۱۲۰

و أمّا السرّ فی التزام الشیعة استحباباً بالسجود علی التربة الحسینیة: أن یتذکر بوضع جبهته علی تلک التربة الزاکیة أولئک الّذین جعلوا أجسامهم ضحایا للحقّ، وارتفعت أرواحهم إلی الملأ الأعلی، لیخشع ویخضع ویتلازم الوضع والرفع، وتحتقر هذه الدنیا الزائفة وزخارفها الزائلة، ولعلّ هذا هو المقصود من أنّ السجود علیها یخرق الحجب السبع کما فی الخبر، فیکون حینئذٍ فی السجود سرّ الصعود والعروج من التراب إلی ربّ الأرباب.

فلیس فی ذلک أیة خزازة وتعسّف أو شیء یضادّ نداء القرآن الکریم أو یخالف سنّة الله وسنّة رسوله(ص) أو خروج من حکم العقل والإعتبار.

المسألة الحادیة عشرة: عدالة الصحابة کلّهم!

اشارة

صحابة النبی الأکرم(ص) هم المسلمون الأوائل الذین رأوا النبی الأکرم(ص) وتشرّفوا بکرامة الصحبة وتحمّلوا جانباً مهمّاً فی عملیة نشر الدعوة الإسلامیة، وبذل جمع منهم النّفس والنفیس فی نشرالإسلام، حتّی امتدّ إلی أقاصی المعمورة، فأقاموا اسسه وشادوا بنیانه ورفعوا قواعده. وکلّ من تلا آیات الذکر الحکیم حول المهاجرین والذین اتبعوهم بإحسان لایملک نفسه إلّا أن

ص: ۱۲۱

يغبط منزلتهم وعلوّ شأنهم بل ويتمنّى من صـميم قلبه أن يكون أحدهم ويدرك شأنهم، فإذا كان هذا حال الصحابة فى الذكر الحكيم فكيف يتجرّأ مسلم على تكفير الصحابة ورميهم بالردّة والزندقة أو تفسيقهم جميعاً؟!

إنّا لو أحصينا المهتدين فى عصر الرسول(ص) والّذين استشهدوا فى عهد النبى الأكرم فهم يتجاوزون المئات، ولا يشك أىّ مسلم فى أنّهم كانوا مثال المؤمنين الصادقين الأجلاء الّذين:(

صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ ومِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وما بَدَّلُوا تَبْدِيلًا

) (۱) فـإذا كـان الحـال كـذلك واتّفق الشـيعى والسـنّى على إطراء الـذكر الحكيم للصـحابة والثناء عليهم، فما هو موضع الخلاف بين الطائفتين كى يعـدّ ذلك من أعظم الخلاف بينهما؟! إنّ موضع الخلاف ليس إلّا فى نقطـة واحدة وهى أنّ أهل السـنّة يقولون بأنّ كلّ من رأى النبى(ص) وعاشره ولو يوماً أو يومين فهو محكوم بالعدالة منذ اللقاء إلى يوم ادرج فى كفنه ولو صدر منه قتل أو نهب أوزنى أو غير ذلك!، محتجّين بما نسب إلى رسول‌الله(ص): «أصحابى كالنجوم، بأيّهم اقتديتم اهتديتم»، بل

۱- أحزاب: ۲۳.

ص: ۱۲۲

يلبسونهم ثوب العصـمة!، إلى حدّ كان القدح بالصحابى أشدّ من القدح برسول الله(ص)، فنفى العصمة عن النبى(ص) واتّهامه بالذنب قبل بعثه وبعده كان أمراً سـهلًا يطرح بصورة عقيدة معقولة ولا يؤاخذ القائل بها، وأمّا من نسب صـغيرة أو كبيرة إلى صحابى فأهون ما يواجهونه به هو الاستتابة وإلا فالقتل. فيجب تحليل المسألة على ضوء الكتاب والسنّة.

الصحابة فى القرآن الكريم

أولًا: إنّ القرآن يصـنّف الصحابة إلى أصناف مختلفة: فهو يتكلّم عن السابقين الأوّلين والمبايعين تحت الشجرة والمهاجرين المهجّرين عن ديارهم وأموالهم وأصـحاب الفتح إلى غير ذلك من الأصـناف المثالية الذين يثنى عليهم ويذكرهم بالفضل والفضيلة، وفى مقابل ذلك يذكر أصنافاً اخر يجب أن لا تغيب عن أذهاننا وتلك الأصناف هى التالية:

۱- المنافقون المعروفون. (۱) ۲- المنافقون المتستّرون الذين لايعرفهم النبى(ص). (۲) ۳- ضعفاء الإيمان ومرضى القلوب. (۳)

۱- منافقون: ۱.

۲- التوبه: ۱۰۱.

۳- الأحزاب: ۱۱.

ص: ۱۲۳

۴- السمّاعون لأهل الفتنة. (۱) ۵- المسلمون الذین خلطوا عملًا صالحاً وآخر سیئاً. (۲) ۶- المشرفون علی الارتداد عندما دارت علیهم الدوائر. (۳) ۷- الفسّاق الّذین لا یصدّق قولهم ولا فعلهم. (۴) ۸- المسلمون الّذین لم‌یدخل الإیمان فی قلوبهم. (۵) ۹- المولّون أمام الکفار. (۶) فإنّ هذه الآیات الکریمة تعرب عن أنّ صحابة النبی الأکرم(ص) لم یکونوا علی نمط واحد، وعندئذٍ یتحقّق أنّ الصحبة لا تعطی لصاحبها منقبة إلّا إذا کان أهلًا لها وهذا ما ذهبت إلیه الشیعة، وهو نفس النتیجة الّتی یخرج بها الإنسان المتدبّر للقرآن الکریم.

ثانیاً: إنّ الآیات التی تناولت المهاجرین والأنصار وغیرهم بالمدح والثناء لاتدلّ علی أکثر من أنّهم کانوا حین نزول القرآن

۱- التوبه: ۴۵- ۴۷.

۲- التوبه: ۱۰۲.

۳- آل عمران: ۱۵۴.

۴- الحجرات: ۶ وسجده: ۱۸.

۵- الحجرات: ۱۴.

۶- الأنفال: ۱۵- ۱۶.

ص: ۱۲۴

مُثلًا للفضل والفضـيلة ولكن الأمور إنّما تعتبر بخواتيمها، فكم من مؤمن زلّت قدمه فی الحياة فعاد منافقاً أو مرتدّاً وكم من ضالّ شـملته العناية الإلهية فبصر الطريق وصار رجلًا إلهّياً!

ثالثاً: ومن سوء الحظّ أنّ شـرذمة قليلـة من الصـحابة زلّت أقـدامهم وانحرفوا عن الطريق، فلا تمسّ دراسـة أحوال هؤلاء القليلين وتبيين مواقفهم وانحرافهم عن الطريق المستقيم بكرامة الباقين!

فمن علمنا عدالته حكمنا بها وقبلنا روايته ولزمنا له من التعظيم والتوقير بسبب شرف الصحبة ونصرة الإسلام والجهاد فی سبيل الله ما هو أهله؛ ومن علمنـا منه خلاـف ذلك لم تقبل روايته أمثال مروان بن الحكم والمغيرة بن شـعبة والوليـد بن عقبـة وبسـر بن أرطاة وبعض بنی‌أمية وأعوانهم؛ ومن جهلنا حاله فی العدالة توقّفنا فی قبول روايته.

المسألة الثانية عشرة: فی عالمية رسالة النبی ۹ و خاتميتها

اشارة

تمتاز الشريعة الإسلامية بنقطتين رئيسيتين: الاولی عالميتها وشموليتها،

الثانية: كونها خاتمة الشرائع.

ص: ۱۲۵

یقول سبحانه:(وَ ما أَرْسَلْناکَ إِلَّا کَافَّةً لِلنَّاسِ) (۱) و قال سبحانه:(قُلْ یا أَیُّهَا النَّاسُ إِنِّی رَسُولُ اللَّهِ إِلَیْکُمْ جَمِیعاً) (۲) لقد بعث الرّسول الأعظم(ص) سفراءه إلی أنحاء المعمورة لنشر دعوته فیها وبید کلّ واحد منهم کتاب یعبّر عن عالمیة دعوته.

کما أنّ اجتیاح جیوش المسلمین ورجالهم أرض غیرالعرب واستقرار الأمّـة الإسلامیة فی أکثر مناطق المعمورة بل معظمها یومذاک، أیضاً یدلّ علی عالمیتها.

والملمح الثانی هو خاتمیتها، والمراد: أنّها آخر الشرائع وأنّ المبعوث بها هو خاتم الأنبیاء.

الخاتمیة فی الذکر الحکیم

قال سبحانه:(إِنَّ الدِّینَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ) (۳) و یعاضدها قوله تعالی:(وَ مَنْ یَبْتَغِ غَیْرَ الإِسْلامِ دِیناً فَلَنْ یُقْبَلَ مِنْهُ) (۴). ولأجل ذلک کتب الرّسول(ص) إلی قیصر عند ما دعاه إلی الإسلام، قوله سبحانه:(قُلْ یا أَهْلَ الْکِتابِ تَعالَوْا

۱- سبأ: ۲۸ أیضاً الفرقان: ۱.

۲- آل عمران: ۱۹.

۳- الأعراف: ۱۵۸.

۴- آل عمران: ۸۵.

ص: ۱۲۶

إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ ولا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً ولا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ). (۱) و قوله سبحانه:(يَكُونَ لِلْعالَمِينَ نَذِيرا) (۲) قوله سبحانه:(ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ ولكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وخاتَمَ النَّبِيِّينَ) (۳) ولقد قرئ لفظ الخاتم بوجهين:

الأول: بفتح التاء، وعليه قراءة عاصم، ويكون بمعنى الطابع الذى تختم به الرسائل والمواثيق، فكان النبى الأكرم(ص) بالنسبة إلى باب النبوّة كالطابع، ختم به باب النبوة واوصد واغلق فلايفتح أبداً.

الثانى: بكسر التاء، وعليه يكون اسم فاعل، أى الذى يختم باب النبوة.

و على كلتا القرائتين فالآية صريحة فى أنّ باب النبوة أو بعث الأنبياء ختم بمجىء النبى الأكرم(ص).

و تمّت كلمة ربك بظهور الدعوة المحمّدية ونزول الكتاب المهيمن على جميع الكتب وصارت مستقرّة فى محلّها بعد ما كانت تسير

۱- آل عمران: ۶۴.

۲- الفرقان: ۱، أيضاً الانعام: ۱۹ وسبأ: ۲۸.

۳- الأحزاب: ۴۰.

ص: ۱۲۷

دهراً طویلًا فی مدارج التدرّج بنبوّة بعد نبوّة، وشریعة بعد شریعة.

الخاتمیة فی الأحادیث النبویة

ورد علی لسان النبی الأکرم(ص):

«أما ترضی أن تکون منّی بمنزلة هارون من موسی إلّا أنّه لانبی بعدی- أو لیس بعدی نبی- ولا ینبغی أن أذهبُ إلّا وأنت خلیفتی»

والحدیث علی لسان المحدّثین حدیث المنزلة.

وقال رسول الله(ص): مثلی ومثل الأنبیاء کمثل رجل بنی داراً فأتمّها وأکملها إلّا موضع لبنة، فجعل الناس یدخلونها ویتعجّبون منها ویقولون: لولاموضع هذه اللّبنة؛ قال رسول الله(ص):

«فأنا موضع اللّبنة جئت فختمت الأنبیاء»

. وقال رسول الله(ص):

«إنّ الرسالة والنبوّة قد انقطعت، ولا رسول بعدی ولا نبی.»

وقال رسول الله(ص):

«ارسلت إلی الناس کافّة، وبی ختم النبیون.»

وقال رسول الله(ص):

«فضّلت بستٍ: أعطیتُ جوامع الکلم، ونصرت بالرعب، وأحلّت لی الغنائم، وجعلت لی الأرضُ مسجداً وطهوراً، وارسلتُ إلی الخلق کافّة، وختم بی النبیون»

ص: ۱۲۸

الخاتمية فى أحاديث العترة الطاهرة

قال الإمام على(ع) وهو يلى غسل رسول الله(ص) وتجهيزه:

«بأبى أنت وأمّى لقد انقطع بموتك مالم ينقطع بموت غيرك من النبوّة والأنباء وأخبارالسّماء».

و قال الإمام الصادق(ع): ...

«حلال محمد ۹ حلال أبداً إلى يوم القيامة لايكون غيره ولا يجيءُ غيره».

أسئِلَة حول الخاتمية

السؤال الأوّل:

إنّ القرآن الكريم ينصّ على أنّ المؤمنين بـالله وبـاليوم الآخر من جميع الشـرائع سـينالون ثواب الله وأنّه لاخوف عليهم ولا هم يحزنون (۱)؛ ومعنى ذلك: أنّ أتباعها ناجون شأنهم شأن من اعترف بالإسلام وصار تحت لوائه تماماً، فكيف تكون رسالته خاتمة الشرائع؟!

الجواب:

إنّ غاية ما يتوخّاه القرآن- فى هذه الآيات- إنّما هو فقط نسف وإبطال عقيدة اليهود والنصارى، وليعلن مكانه بأنّ النجاة

۱- البقره: ۶۲ و ۱۱۲ والمائدة: ۶۹ والحج: ۱۷.

ص: ۱۲۹

إنّما هى بالإيمان الصادق والعمل الصالح، فليست الأسماء ولا الأنساب هى الّتى تنجى أحداً فى العالم الآخر، وإنّما هو الإيمان والعمل الصالح، وهذا الباب مفتوح فى وجه كلّ إنسان يهودياً كان أو نصرانياً أو غيرهم.

حتّى أنّ أهل الكتاب لو امنوا بما آمن به المسلمون لقبلنا إيمانهم وكفّرنا عنهم سيئاتهم. إذن فلا دلالة لهذه الآيات الثلاث على إقرار الإسلام لشرعية الشرائع بعد ظهوره.

السؤال الثانى: لماذا ختمت النبوّة التبليغية؟!

إنّ الأنبياء كانوا على قسمين: منهم من كان صاحب شريعة، ومنهم من كان مبلّغاً لشريعة من قبله من الأنبياء، كأكثر أنبياء بنى إسرائيل الّذين كانوا يبلّغون شريعة موسى بين أقوامهم. فهب أنّه ختم باب النبوة التشريعية لكون الشريعة الإسلامية متكاملة، فلماذا ختم باب النبوّة التبليغية؟!

و الجواب عنه: غنى الأمّة الإسلامية عن هذا النوع من النبوّة؛ وذلك لوجهين:

الوجه الأوّل: أنّ النبى الأكرم(ص) ترك بين الأمّة الكتاب والعترة وعرّفهما إليها بيّن أنّه لن تضّل الأمّة مادامت متمسّكة بهما.

ص: ۱۳۰

الوجه الثانی: أنّ علماء الأمّة المأمورین بالتبلیغ بعد التفقّه أغنوا الأمّة عن أیّة نبوّة تبلیغیة، قال سبحانه:(

فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ کُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِیَتَفَقَّهُوا فِی الدِّینِ ولِیُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَیْهِمْ لَعَلَّهُمْ یَحْذَرُونَ

) (۱) وقال سبحانه:(

وَ لْتَکُنْ مِنْکُمْ أُمَّةٌ یَدْعُونَ إِلَی الْخَیْرِ ویَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ویَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْکَر

) (۲) السؤال الثالث: لماذا حرم الخلف من المکاشفة الغیبیة والاتصال بعالم الغیب واستطلاع ما هناک من المعارف والحقائق؟!

الجواب: إنّ الفتوحات الغیبیة من المکاشفات والمشاهداة الروحیة لم توصد بابها، وإنّما أوصد منها باب خاص وهو باب النبوّة، فالفتوحات الباطنیة من المکاشفات والإلقاءات فی الروع غیر مسدود بنصّ الکتاب العزیز، قال سبحانه:(

یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ یَجْعَلْ لَکُمْ فُرْقاناً

) (۳) أی یجعل فی قلوبکم نوراً تفرّقون به بین الحقّ والباطل، قال سبحانه:(

وَ یَجْعَلْ لَکُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ

) (۴)

۱- التوبة: ۱۲۲

۲- آل عمران: ۱۰۴

۳- الأنفال: ۲۹

۴- الحدید: ۲۸

ص: ۱۳۱

و هناک روایات تدلّ بوضوح علی انفتاح هذاالباب فی وجه الإنسان: کما قال رسول الله(ص): «إنّ الرسالة والنبوّة قد انقطعت ولارسول بعدی ولا نبی» فشقّ ذلک علی الناس! فقال: «ولکن المبشّرات». فقالوا: یا رسول‌الله(ص) وما المبشّرات؟ فقال(ص): «رؤیا المسلم، وهی جزء من أجزاء النبوّة» (۱).

السؤال الرابع: کلّما تکاملت جوانب الحضارة وتشابکت وتعدّدت ألوانها واجه المجتمع أوضاعاً وأحداثاً جدیدة وطرحت علیه مشاکل طارئة لاعهد للأزمنة السابقة بها، وما جاء به الرسول لایجاوز قوانین محدودة، فکیف تفی النصوص المحدودة بالحوادث الطارئة غیر المتناهیة؟!

الجواب: إنّ خلود التشریع وبقاءه فی جمیع الأجیال ومسایرته للحضارات الإنسانیة واستغناءه عن کلّ تشریع سواه، یتوقّف علی وجود أمرین فیه:

الأوّل: أن یکون التشریع ذا مادّة حیویّة خلّاقة للتفاصیل بحیث یقدر معها علماء الأمّة والأخصّائیون منهم علی استنباط کلّ حکم یحتاج إلیه المجتمع البشری فی کلّ عصر من الأعصار.

الثانی: أن ینظر إلی الکون والمجتمع بسعة وانطلاق مع مرونة خاصة تماشی جمیع الأزمنة والأجیال وتسایرالحضارات

۱- الترمذی، السنن: ۳/ ۳۶۴.

ص: ۱۳۲

الإنسانية المتعاقبة، وقد أحرز التشريع الإسلامى كلا الأمرين؛ أمّا الأوّل فقد أحرزه بتنفيذ أمور:

الف: الاعتراف بحجّية العقل فى مجالات خاصّة من الأحكام الّتى تعدّ من ثمرات القول بالتحسين والتقبيح العقليين.

ب: إنّ الأحكام تابعة للمصالح والمفاسد عند العدلية، فلا واجب إلّا لمصلحة فى فعله ولا حرام إلّا لمفسدة فى اقترافه، ويشهد بذلك كتاب الله فى موارد:

يقول سبحانه:

(إِنَّما يُرِيدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَداوَةَ والْبَغْضاءَ فِى الْخَمْرِ والْمَيْسِرِ ويَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) (۱) و يقول سبحانه:(

وَ أَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ والْمُنْكَرِ

) (۲) و قد تضافرت النصوص عن أئمّة أهل البيت(عليهم السلام) على أنّ الأحكام الشرعية تخضع لملاكات، قال الإمام الطاهر على بن موسى الرضا(ع): إنّ الله تبارك وتعالى لم يبح أكلًا ولاشرباً إلّا

۱- المائدة: ۱۹۱.

۲- عنكبوت: ۴۵.

ص: ۱۳۳

لما فيه المنفعة والصلاح، ولم‌يحرّم إلّا ما فيه الضرر والتلف والفساد»،

و قال(ع) فى الدم:

«أنّه يسىء الخُلق ويورث القسوة للقلب وقلّة الرأفة والرحمة، ولايؤمن أن يقتل ولده ووالده!»

. ج: إنّ التشريع الإسلامى فى مختلف الأبواب مشتمل على أصول وقواعد عامة تفى باستنباط آلاف الفروع التى يحتاج إليها المجتمع البشرى على امتداد القرون والأجيال، روى الكلينى عن أبى عبدالله(ع) أنّه قال:

«ما من شىءٍ

إلّا

وفيه كتاب أو سنّة.»

نعم! تتجلّى حيوية مادة التشريع إذا أخذنا بسنّة رسول الله المروّية عن طريق أئمّة أهل البيت(عليهم السلام) الذين أغنوا الأمّة الإسلامية عن اعتماد الأدلّة الظنّية كالقياس والاستحسان.

د: تشريع الاجتهاد وعدم غلق بابه عند الشيعة بعد رحيل صاحب الرسالة إلى يومنا هذا، وبذلك أنقذوا الشريعة من الانطماس، وأغنوا الأمّة الإسلامية عن التطلّع إلى موائد الغربيين.

ه.: حقوق الحاكم الإسلامى أو ولاية الفقيه الّتى من شأنها أن توجّه المجتمع البشرى إلى أرقى المستويات الحضارية؛ لأنّه

ص: ۱۳۴

یتمتّع بمثل ما یتمتّع به النبی(ص) والامام(ع) من النفوذ المطلق إلّا ما کان من خصائص النبی(ص) والأئمّة(علیهم السلام).

المرونة التشریع الإسلامی:

و قد تمثّلت بأمور:

الأمر الأول: کونه جامعاً بین الدعوة إلی المادّة والروح علی وجه یطابق الفطرة الإنسانیة، وجعل الفطرة مقیاساً للحلال والحرام، وشرّع للإنسان ما یسعده فی الدنیا والآخرة علی ما هو مفصّل فی محلّه.

الأمر الثانی: النظر إلی المعانی لا إلی الظواهر: فإنّ الإسلام دعا إلی تأمین حاجات الإنسان من الملبس والمسکن وإشاعة العلم والتربیة، وهذا هو اللبّ، وأمّا الأشکال والأنماط لهذا التشریع فمتروک إلی مقتضیات العصور.

الأمر الثالث: الأحکام التی لها دورالتحدید، وقد اصطلح علیها الفقهاء بالأدلّة الحاکمة لأجل حکومتها وتقدّمها علی کلّ حکم، مثلًا قوله سبحانه:(وَما جَعَلَ عَلَیْکُمْ فِی الدِّینِ مِنْ حَرَجٍ) (۱) حاکم علی کلّ تشریع استلزم العمل به حرجاً لایتحمّله

۱- حج: ۷۸.

ص: ۱۳۵

للمکلّف عادة فهو مرفوع فی الظروف الحرجة؛ ومثله قوله(ص): «لا ضرر ولا ضرار»، فکلّ حکم استتبع العمل به ضرراً شدیداً فهو مرفوع فی تلک الشرائط نعم، تشخیص الحاکم من المحکوم وما یرجع إلی العمل بالحاکم من الشرائط یحتاج إلی الدّقة والإمعان والتفّقه والاجتهاد.

السؤال الخامس: إنّ مقتضی کون الإسلام دیناً خاتماً ثبات قوانینه وتشریعاته، ومن المعلوم أن المجتمع الإنسانی لم یزل فی تطوّر وتغیر فکیف یمکن للقانون الثابت معالجة متطلّبات المجتمع المتغیّر؟

و الإجابة عنه تتوقّف علی بیان ما هو الثابت من حیاة الإنسان عن متغیّرها:

إنّ الجانب الثابت من حیاة الإنسان:

۱- الغرائز الثابتة والروحیات الخالدة التّی لا تتغیّر ولا تتبدّل مادام الإنسان إنساناً، فإذا کان التشریع معدّلًا، إیاها عن الإفراط والتفریط ومرتکزاً علی العدل والاعتدال فذلک التشریع خالداً فی ظلّ خلود الغرائز.

۲- إنّ التفاوت بین الرجل والمرأة أمر لاینکر، فهما موجودان مختلفان اختلافاً عضویاً وروحیاً رغم کلّ الدعایات السخیفة المنکرة لذلک الاختلاف، ولکلّ من الرجل والمرأة

ص: ۱۳۶

متطلّب وفق تركيبه، فإذا كان التشريع متجاوباً مع التركيب والفطرة يكون خالداً حسب خلود الفطرة والتركيب.

۳- الروابط العائلية كعلاقة الأب بولده وبالعكس علاقات طبيعية مبنية على الفطرة، فالأحكام الموضوعية وفق هذه الروابط من التّوارث ولزوم التكريم ثابتة لاتتغيّر بتغيير الزمان.

۴- إنّ فی حياة الإنسان قضايا أخلاقية ثابتة عبرالزمان لايتسرّب إليها التغيير ككون الظلم قبيحاً والعدل حسناً.

إنّ هناك موضوعات فی الحياة الإنسانية لن تزل ذات مصالح ومفاسد أبدية، فمادام الإنسان إنساناً فالخمر يزيل العقل والميسر ينبت العداوة فی المجتمع.

الجانب المتغيّر فی الحياة الإنسانية:

إنّ للإنسان جانباً آخر فی حياته لايزال يتغيّر من حال إلى حالٍ، فمثل هذا يتطلّب تشريعات متغيّرة حسب تغيّره وتبدّله، ومن حسن الحظّ أنّه ليس فی الإسلام الخاتم تشريع ثابت لهذا الجانب، وسوّغ للمجتمع البشری إدارة شؤون حياته فی مجال العمران والبناء وتطور الحياة المختلفة فی مجال الثقافة والدفاع والإقتصاد فی ظلّ إطارعام يتجاوب مع التغيّر والتطوّر ضمن شروط معلومة فی الفقه الإسلامی، وحدوده عبارة أن لايزاحم

ص: ۱۳۷

سعادة الإنسان وأن لايكون فيه ضرر على روحه وجسمه والقيم الّتى بها يمتاز عن الحيوان.

الشيعة والخاتمية:

إنّ هناك شبهات ضئيلة فى المقام تطرح من جانب اناس لاعرفان لهم بمذهب الشيعة. فمن ذلك اتهام الشيعة بأنّ عندهم كتباً غير القرآن، ككتاب على، وسنبيّن ذلك مفصّلًا

۱- كتاب على (ع) وإملاء رسول الله (ص)

إنّ الإمام على بن ابى‌طالب(ع) كان وليد البيت النبوى(ص)، وكان مع الرسول الأعظم منذ نعومة أظفاره إلى رحيل رسول الله(ص) عن الدنيا، وبذلك صار باب علم النبى(ص)، ولمثل هذا النوع من التلاحم يصف على(ع) حاله مع النبى(ص) ويقول: «إنى إذا كنت سألته أنبأنى، وإذا سكتّ ابتدأنى».

كان رسول الله(ص) يأمر علّياً(ع) أن يكتب كلّ ما يملى عليه؛ فقال(ع) مرّة لرسول الله(ص): «يا نبى الله أتخاف على النسيان؟!» قال(ص) لست أخاف عليك النسيان، وقد دعوت الله أن يحفظك ولا ينسيك، ولكن أكتب لشركائك!»

قال(ع): قلت: ومن شركائى يا نبى الله(ص)؟! قال(ص): الأئمّة

ص: ۱۳۸

من ولدك.»، وكان من جملة ما أملاه عليه رسول الله(ص) وكتبه على(ع) بخطّه كتاب طوله سبعون ذراعاً فى عرض الأديم، وهذا هو المعروف بكتاب على(ع) وصحيفته، وكانت الأئمة بعد الإمام يصدرون عنه ويروون عنه ويستشهدون فى مواقع خاصّة به، وبذلك صار الإمام هو المدوّن الرسمى للحديث النبوى(ص) وإن كان بعض الصحابة شاركه فى ضبط الحديث النبوى، لكن صحائفهم وكتبهم احرقت!- ويا للأسف فى عصر الخلفاء، لكن بقى كتاب الإمام غضّاً طرياً مصوناً من الشرّ يرثه إمام بعد أمام. إذن تبين أنّ كتاب على(ع) لم يكن إلّا جامعاً حديثياً وكان تدويناً مبكراً للسّنّة النبوّية المطهّرة، فتسمية أئمة أهل البيت(عليهم السلام) له تارة بكتاب على(ع) واخرى بالجامعة وثالثة بصحيفة على والكتاب يعرب عن عناية الإمام بضبط أحاديث الرّسول(ص)، كما يعرب عن عناية سيدالثقلين(ص) بكتابة حديثه ليبقى على مر العصور والقرون، لا يعتريه الوضع والخدش.

مصحف فاطمه ۳: لاشك أنّه كان عند فاطمة مصحف، حسبما تضافرت عليه الروايات، ولكن المصحف ليس اسماً مختصاً بالقرآن، حتى تختص بنت‌المصطفى(ص) بقرآن خاص، وإنّما كان كتاباً فيه الملاحم والأخبار، فقد روى أبوعبيدة عن

ص: ۱۳۹

أبی عبدالله(ع) قال: «إنّ فاطمة مکثت بعد رسول الله خمس وسبعین یوماً، وکان دخلها حزن شدید علی أبیها، وکان جبرئیل(ع) یأتیها فیحسن عزاءها علی أبیها ویطیب نفسها ویخبرها عن أبیها ومکانه ویخبرها بما یکون بعدها فی ذرّیتها، وکان علی(ع) یکتب ذلک، فهذا مصحف فاطمة ۳.» ولعلّ القارئ یسأل نفسه عن فاطمة ۳ هل کانت محدّثة تحدّثها الملائکة کما ورد فی الروایة السابقة؟

إنّ فاطمة ۳ لا تقلّ شأناً عن مریم البتول ولا عن امرأة الخلیل (۱)، قال سبحانه:(وَ إِذْ قالَتِ الْمَلائِکَةُ یا مَرْیَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاکِ وطَهَّرَکِ واصْطَفاکِ عَلی نِساءِ الْعالَمِینَ) (۲) إلی غیر ذلک من الآیات الواردة فی سورتی آل عمران ومریم.

فإذا کانت مریم وامرأة الخلیل محدّثتین ففاطمة سیدة نساءالعالمین ۳ أولی بأن تکون محدّثة.

ما هو مصدر روایات أهل البیت؟

إنّ لعلوم أئمّة أهل البیت(علیهم السلام) مصادر مختلفة:

۱- النقل عن آبائهم(علیهم السلام) عن رسول الله(ص)، من دون أن

۱- هود: ۷۳ ۶۹ وقصص: ۷.

۲- آل عمران: ۴۲.

ص: ۱۴۰

يتوّسط بين الأسانيد شخص بين آبائهم وأجدادهم.

۲- النقّل عن كتاب على(ع).

۳- الإلهام أو تحديث الملائكة، فما كان يخبرون به من الملاحم أو يجيبون عن الأسئلة، فالكلّ ممّا كان يلقى فى روعهم. وهذا النوع من المصدر وإن كان ثقيلًا على من لم‌يعرف مقاماتهم، إلّا أنّه صحيح لمن درس حياتهم. إنّ المحدَّث- بصيغة المفعول- من تكلّمه الملائكة بلانبوّة ولا رؤية صورة، أو يلهم ويلقى فى روعه شىء من العلم على وجه الإلهام والمكاشفة من المبدأ الأعلى أو ينكت له فى قلبه من حقائق تخفى على غيره، فالمحدَّث بهذا المعنى ممّن اتفق عليه الفريقان: الشيعة والسنّة ولو كان هناك خلاف فإنّما هو فى مصداقه! وقبل ذلك نجد المحدَّث فى الامم السالفة، فهذا صاحب موسى(ع) (۱) ومريم البتول (۲) وأمّ موسى(ع) (۳).

و بذلك يعلم أنّ الإخبار عن الغيب بإذن من الله سبحانه، «لايلازم كون المخبر نبياً، وأنّ تكلّم الملائكة مع إنسان لايصلح دليلًا على كونه مبعوثاً من الله سبحانه للنبوّة؛ ولو اعتمدت

۱- الكهف: ۸۲ ۶۰.

۲- آل عمران: ۴۲.

۳- القصص: ۷.

ص: ۱۴۱

الشيعة على علم الأئمّة فلكونهم وارثين لعلم النبى(ص) ووارثين لما عند على(ع) من الكتب الّتى كتبها بإملاء من رسول الله(ص) أو محدَّثين تلقى فى روعهم الإجابات على الأسئلة، فلا يدلّ على أنّهم أنبياء، ومن نسبهم إلى تلك الفرية الشائنة بحجة إخبارهم عن الملاحم فقد ضلّ عن سواء السبيل، ولم يفرّق بين النبوّة والرسالة والتحدّث.

ص: ۱۴۲

ص: ۱۴۳

الفصل الخامس: «رؤية الله» فی ضوء الكتاب

والسّنة والعقل

إنّ فكرة الرؤية تسرّبت إلى المسلمين من المتظاهرين بالإسلام كالأحبار والرهبان، وصار ذلك سبباً لجرأة طوائف من المسلمين على جعلها فی ضمن العقيدة الإسلامية بحيث يكفّر منكرها أحياناً أو يفسّق حتّى أنّ الإمام الأشعری قال فی الإبانة: ونـدين بأنّ الله تعالى يرى فی الآخرة بالأبصار كما يرى القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون، كما جاءت الروايات عن رسول‌الله(ص)!

ثمّ إنّهم اختلفوا فی الدليل على الرؤية؛ ففرقة منهم اعتمدوا على الأدلّة العقلية دون السمعية، كسيف الدين الآمدی أحد

ص: ۱۴۴

مشایخ الأشاعرة فی القرن السابع(۵۵۱- ۶۳۱ ه.)، وفرقة اخری کالرازی وغیره قالوا: العمدة فی جواز الرؤیة ووقوعها هو السمع، وعلیه الشیخ الشهرستانی فی نهایة الأقدام.

«الرؤیة بالأبصار لا بالقلب ولا بالرؤیا»

محل النزاع بین الأشاعرة ومن قبلهم الحنابلة وأصحاب الحدیث وبین غیرهم من أهل التنزیه: هو رؤیة الله سبحانه بالأبصار، وأمّا الرؤیة بغیرها فخارجة عن مجاله، فإذا کانت الحنابلة والأشاعرة مصرّین علی جواز الرؤیة، فأئمّة أهل البیت(علیهم السلام) ومن تبعهم من الإمامیة والمعتزلة والزیدیه قائلون بامتناعها فی الدنیا والآخرة.

و قد نجم فی ظلّ العراک الفکری بین العلویین والأمویین منهاجان فی مجال المعارف، کلّ یحمل شعاراً، فشیعة الإمام علی(ع) وأهل بیته(علیهم السلام) یحملون شعار التنزیه والاختیار، والأمویون وشیعتهم یحملون شعار التشبیه والجبر. وقد اشتهر منذ قرون القول بأنّ: التنزیه والاختیار علوّیان والتشبیه والجبر أمویان قال الرازی فی تفسیر قوله:(لَیْسَ کَمِثْلِهِ شَیْءٌ) (۱)

۱- الشوری: ۱۱.

ص: ۱۴۵

«احتجّ علماء التوحید قدیماً وحدیثاً بهذه الآیة علی نفی کونه جسماً مرکباً من الأعضاء والأجزاء حاصلًا فی المکان والجهة (۱)» واعلم أنّ محمّد بن إسحاق بن خزیمة ولد عام ۳۱۱ ه. وقد ألّف «التوحید وإثبات صفات الرّب»، وکتابه هذا مصدر المشبّهة والمجسّمة فی العصور الأخیرة وقد اهتمّت به الحنابلة وخصوصاً الوهابیة، فقاموا بنشره علی نطاق واسع، وهم یظنّون أنّهم یحسنون صنعاً!

«الرؤیة فی کلمات الإمام علی ۷»

قد سأله الإمامَ ذعلب الیمانی فقال: هل رأیت ربّک یا أمیرالمؤمنین(ع)؟! فقال(ع) «أفأعبد مالا أری»؟! فقال فکیف تراه؟! فقال(ع): «لاتدرکه العیون بمشاهدة العیان، ولکن تدرکه القلوب بحقائق الإیمان؛ قریب من الأشیاء غیر ملابس، بعید منها غیر مباین» . (۲) و قال(ع):

«الحمد لله الذی لاتدرکه الشواهد، ولا تحویه المشاهد، ولاتراه النواظر، ولا تحجبه السواتر» (۳)

۱- مفاتیح الغیب: ۲۷/ ۱۵۰. ...

۲- نهج البلاغه، الخطبة: ۱۷۴.

۳- نهج البلاغه، الخطبة: ۱۸۰.

ص: ۱۴۶

للإمام الطاهر علی بن موسی الرضا(ع): إذا کانت الروایة مخالفة للقرآن کذّبتها وما أجمع المسلمون علیه أنّه لایحیط به علماً ولاتدرکه الأبصار ولیس کمثله شیء.

«الرؤیة فی منطق العلم والعقل»

إنّ الرؤیة فی منطق العلم والعقل لا- تتحقّق إلّا إذا کان الشیء مقابلًا أو حالًّا فی المقابل، کما فی رؤیة الصور فی المرآة؛ وهذا أمر تحکم به الضرورة وإنکاره مکابرة واضحة، فإذا کانت ماهیة الرؤیة هی ما ذکرناه، فلا یمکن تحقّقها فیما إذا تنزّه الشیء عن المقابلة أو الحلول فی المقابل. وبعبارة واضحة: أنّ العقل والنقل اتّفقا علی کونه سبحانه لیس بجسم ولاجسمانی ولا فی جهة، والرؤیة فرع کون الشیء فی جهة خاصّة، وما شأنه هذا یتعلّق بالمحسوس لا بالمجرّد

و لقائل أن یسأل: أنّه لو وقعت الرؤیة علی ذاته سبحانه فهل تقع علی کلّه أو بعضه؟! فلو وقعت علی الکلّ تکون ذاته محاطة لا محیطة، وهذا باطل بالضرورة ولو وقعت علی الجزء تکون ذاته ذات جزء مرکّب.

ص: ۱۴۷

«محاولة يائسة فى تجويز الرؤية»

۱- الرؤية بلاكيف: هذا العنوان هو الّذى يجده القارئ فى كتب الأشاعرة، وربّما يعبّر عنه خصومهم بالبلكفه، ومعناه أن الله تعالى يرى بلا كيف وأنّ المؤمنين فى الجنّة يرونه بلا كيف، أى منزّهاً عن المقابلة والجهة والمكان.

و بعبارة اخرى: أنّ الحنابلة والأشاعرة يصرّون على أنّ الصفات الخبرية كاليد والرجل والقدم والوجه فى الكتاب والسّنة يجب أن تفسّر بنفس معانيها اللغوية، ولايجوز لنا حملها على معانيها المجازية كالقدرة فى اليد مثلًا؛ ولمّا رأوا أنّ ذلك بلازم التجسيم التجأوا إلى قولهم «يد بلاـكيف، ولكنّهم خفى عنهم أنّ الكيفية فى اليد والوجه وغيرهما مقوّمة لمفاهيمها، فنفى الكيفية يساوق نفى المعنى اللّغوى، فكيف يمكن الجمع بين المعنى اللغوى والحمل عليه «بلاـكيف»؟! ومنه يعلم حال الرؤية بالبصر والعين، فإنّ التقابل مقوّم لمفهومها، فإثباتها بلاـكيف يلازم نفى أصل الرؤية، وقد عرفت أنّ الكلام فى النظر بالبصر والرؤية بالعين، لا الرؤية بالقلب أو فى النوم.

۲- اختلاف الأحكام باختلاف الظروف: إنّ بعض المثّقفين الجدد لمّا أدركوا بعقولهم أنّ الرؤية لاتنفكّ عن الجهة التجأوا

ص: ۱۴۸

إلى القول بأنّ كلّ شيءٍ فى الآخرة غيره فى الدنيا، ولعلّ الرؤية تتحقّق فى الآخرة بلاهذا اللازم السلبى!

۳- عدم الإكتراث بإثبات الجهة!

الدكتور أحمد بن محمّد خرّيج جامعة أمّ القرى [مكة] .... تخلّص عن الالتزام بإثبات الجهة لله بقوله: إنّ إثبات صفة العلوّ لله تبارك وتعالى ورد فى الكتاب والسّنة فى مواضع كثيرة جداً! فلاحرج فى إثبات رؤية الله تعالى من هذا العلوّ الثابت له تبارك وتعالى، ولايقدح هذا فى التنزيه. ويرد عليها ما يرد على الأولى مضافاً لها إلى ما سيوافك من الآيات القرآنية.

موقف الذكر الحكيم من أمر الرؤية:

إنّ الذكر الحكيم يصف الله سبحانه بصفات تهدف جميعها إلى تنزيهه عن الجسم والجسمانية وأنّه ليس له مثل ولانظير ولا ندّ ولا كفء، وأنّه محيط بكلّ شيءٍ ولايحيطه شيءٌ إلى غير ذلك من الصفات المنزّهه، نشير إلى بعض منها:(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَیْءٌ) (۱)(وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ) (۲)(هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما

۱- الشورى: ۱۱.

۲- التوحيد: ۴.

ص: ۱۴۹

كُنْتُمْ) (۱)(أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَیْءٍ مُحِیطٌ) (۲)(لا تُدْرِكُهُ الأَبْصارُ وهُوَ یُدْرِكُ الأَبْصارَ وهُوَ اللَّطِیفُ الْخَبِیرُ) (۳) فهو مع الأشیاء معیة قیومیة لامعیة مكانیة؛ وذلك مقتضی كونه قیوماً وما سواه قائماً به، ولایمكن للقیوم الغیبوبة عمّا قام به، فالجمیع محاط وهو محیط، ومن كان بهذه المنزلة لاتدركه الأبصار الصغیرة الضعیفة ولایقع فی أفقها، ولكنّه لكونه محیط، یدرك الأبصار!

فمن تلاـ هذه الآیات وتدبّر فیها یحكم بأنّه سبحانه فوق أن یقع فی وهم الإنسان وفكره ومجال بصره وعینه، مع أنّه كان ولاعلوّ ولاجهة، بل هو خالقهما، وهو محیط بكلّ شیء.

هذا من جانب، ومن جانب آخر نری أنّه سبحانه كلّما طرح مسألة الرؤیة فی القرآن الكریم فانّما یطرحها لیؤكد عجزالإنسان عن نیلها، ویعتبر سؤالها وتمنّیها من الإنسان أمراً فظیعاً وقبیحاً وتطلّعاً إلی ما هو دونه، قال سبحانه:(لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّی نَرَی اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) (۴) وقال سبحانه:

۱- الحدید: ۴.

۲- فصلت: ۵.

۳- الأنعام: ۱۰۳.

۴- البقره: ۵۵.

ص: ۱۵۰

(أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ) (۱) وقال سبحانه:(قالَ رَبِّ أَرِنِی أَنْظُرْ إِلَیْکَ قالَ لَنْ تَرانِی) (۲) فالإمعان بما ورد فيها من عتاب وتنديد بل وإماتة وإنزال عذاب يدلّ بوضوح على أنّ الرؤية فوق قابلية الإنسان، وطلبه لها أشبه بالتطلّع إلى أمر محال. هذا بغضّ النظر عن الدنيا والآخرة، ولاصلة لها بظرف السؤال.

دراسة أدلّة النافين

الآية الأولى:(لا تُدْرِکُهُ الأَبْصارُ) (۳). الاستدلال بالآية يتوقّف على البحث فی مرحلتين:

المرحلة الاولى: فی بيان مفهوم الدرک لغةً.

الدرک فی اللغة «اللحوق والوصول». وأدرکته ببصری أی رأيته. فالإدراک بالبصر: إلتحاق من الرائی بالمرئی بالبصر.

المرحلة الثانية: فی بيان مفهوم الآية: أنّه إذا تعالى عن تعلّق الأبصار فقد خرج عن حيطة الأشياء، و «اللطيف» هو الرقيق النافذ فی الشیء و «الخبير» من له الخبرة الكاملة، فإذا كان

۱- النساء: ۱۵۳؛ أيضا الفرقان: ۲۱.

۲- الأعراف: ۱۴۳.

۳- الأنعام: ۱۰۳.

ص: ۱۵۱

تعالى محيطاً بكلّ شيءٍ لرقّته ونفوذه فى الأشياء، كان شاهداً على كلّ شيءٍ ومع ذلك فهو عالم بظواهر الأشياء وبواطنها من غيرأن يشغله شيء عن شيء أو يحتجب عنه شيء بشيءٍ، وإنّ لفظ الأبصار صيغة جمع دخل عليها الألف واللام فهو يفيد الاستغراق أى لايدركه أحد من ذوى الأبصار.

الآية الثانى:(وَ لا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً) (۱) بيانها: أنّ الرؤية سواء أوقعت على جميع الذات أم على جزئها، فهى نوع إحاطة علمية من البشر به سبحانه، وقد قال:(وَ لا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً) (۲) الآية الثالثة:(قالَ لَنْ تَرانِى). (۳) المفهوم الصحيح للآية: هو تعاليه سبحانه عن الرؤية، وأنّ سؤاله الرؤية أمر عظيم فظيع لايمحى أثره إلّا بالتوبة؛ وذلك لوجوه:

۱- الإجابة بالنفى المؤبّد الدّال على عدم تحققها أبداً لا فى

۱- طه: ۱۱۰.

۲- طه: ۱۱۰.

۳- الأعراف: ۱۴۳.

ص: ۱۵۲

هذه الدّنيا ولا فی الآخرة.

۲- تعليق الرؤيـة على أمر غير واقع: علّق سـبحانه الرؤية على اسـتقرار الجبل وبقائه على الحالة التى كان عليها عند التجلّى وعدم تحوّله إلى ذرّات ترابيـة صـغار بعـده، والمفروض أنّـه لم يبـق على حـالته السابقـة وبطلت هـوّيته وصـارت ترابـاً مـدكوكاً، فـإذا انتفى المعلّق عليه(بقاء الجبل على حالته) ينتفى المعلّق، وهو الرؤية.

۳- تنزيهه سبحانه بعد الإفاقة عن الرؤية:

تـذكر الآيـة أنّ موسـى لمّا أفاق فأوّل ما تكلّم به هو تسبيحه سـبحانه وتنزيهه وقال: «سـبحانك»؛ وذلك لأنّ الرّؤية لاتنفكّ عن الجهة والجسمية وغيرهما من النقائص؛ فنزّمه سبحانه عنها، فطلبها نوع تصديق لها.

۴- توبته لأجل طلب الرؤيـة: إنّ موسـى بعـد ما أفاق أخذ بالتنزيه أوّلًا والتوبة والإنابة إلى ربّه ثانياً، وظاهرالآية أنّه تاب من سؤاله، كما أنّ الظاهر من قوله «وأنا أوّل المؤمنين» أنّه أوّل المصدّقين بأنّه لايرى بتاتاً.

ص: ۱۵۳

شبهات المخالفين

الشبهة الاولى:

لو كانت الرؤية ممتنعة لما سألها الكليم، ولاشكّ فى كون موسى عارفاً بما يجب ويجوز ويمتنع على الله تعالى، وحيث سألها علمنا أنّ الرؤية جائزة على الله تعالى!

الجواب: أنّ القرائن تشهد على أنّه سأل الرؤية على لسان قومه حيث كانوا مصرّين على ذلك، انظر قوله سبحانه:(قالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وإِيَّايَ أَ تُهْلِكُنا بِما فَعَلَ السُّفَهاءُ مِنَّا) (۱) ولقوله تعالى:(فَقَدْ سَأَلُوا مُوسى أَكْبَرَ مِنْ ذلِكَ فَقالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ) (۲) و توضيح ذلك: أنّ الكليم لمّا أخبر قومه بأنّ الله كلّمه وقرّبه وناجاه، قال قومه: لن نؤمن بك حتّى نسمع كلامه كما سمعت، فاختارمنهم سبعين رجلًا لميقاته وسأله سبحانه أن يكلّمه؛ فلمّا كلّمه الله وسمع القوم كلامه، قالوا:(لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً) (۳) فعند ذلك(أَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ) (۴). فقد

۱- الأعراف: ۱۵۵.

۲- النساء: ۱۵۳.

۳- البقره: ۵۵.

۴- البقره: ۵۵ والنساء: ۱۵۳؛ ر. ك. الصدوق، التوحيد: ۱۲۱/ ح ۲۴ باب ماجاء فى الرؤية.

ص: ۱۵۴

اتّضح ممّا ذكرنا عدم دلالة الآية على إمكان رؤيته سبحانه بطلب موسى(ع).

الشبهة الثانية:

إنّ تجلّيه سبحانه للجبل هو رؤية الجبل له، فلّما رآهُ(سبحانه) اندكّت أجزاؤه، فإذا كان الأمر كذلك ثبت أنّه تعالى جائز الرؤية، وأقصى ما يقال: إنّه تعالى خلق فى ذلك الجبل الحياة والعقل والفهم، ثم خلق فيه الرؤية متعلّقة بذات الله. (۱) لكن يلاحظ على هذا الكلام: ليس فى الآية أى دليل عليه، وظاهر الآية أنّه سبحانه تجلّى للجبل وهو لم يتحمّل تجلّيه، لا أنّه رآه وشاهده! وأمّا التجلّى، فكما يحتمل أن يكون بالذات، كذلك يحتمل أن يكون بالفعل، فمن لم يتحمّل تجلّيه بفعله وقدرته، فالأولى أن لا يتحمّل تجلّيه بذاته، وعندئذٍ فمن المحتمل جدّاً أن يكون تجلّيه بآثاره وقدرته وأفعاله.

لذا لايمكن التمسّك به وطرح الدلائل القاطعة عقلًا ونقلًا على امتناع رؤيته.

۱- الرازى، مفاتيح الغيب: ۲۴/ ۲۳۲.

ص: ۱۵۵

رؤية الله فى الذكر الحكيم: «دراسة أدلة المثبتين»

استدّل القائلون بجواز الرؤية بآيات متعدّدة، والمهّم فيها هو الآية الآتية، أعنى قوله سبحانه:

(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ* إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ) (۱)

فإنّ المثبتين يركّزون على أنّ الناظرة بمعنى الرؤية، كما أنّ نافيها يفسّرونها بمعنى الانتظار، مع أنّ تسليم كونه بمعنى الرّؤية غير مؤثّر فى إثبات مدّعيها كما سيظهر؛ والحقّ عدم دلالتها على جواز رؤية الله بتاتاً؛ وذلك لأمرين:

الأوّل: أنّه سبحانه استخدم كلمة «وجوه» لا «عيون»، والعجب أنّ المستدلّ غفل عن هذه النكتة الّتى تحدّد معنى الآية وتخرجها عن الإبهام والتردّد بين المعنيين.

الثانى: نحن نوافق المثبتين بأنّ النظر إذا استعمل مع «إلى» يكون بمعنى الرؤية لكن الذى يجب أن نلفت إليه نظر المستدلّ هو أنّه ربّما يكون المعنى اللغوى ذريعة لتفهيم معنى كنائى ويكون هو المقصود بالأصالة لا المدلول اللغوى، فلو قلنا: زيد كثير الرماد، المراد هنا جوده وسخاؤه وكثرة إطعامه، وهذه هى القاعدة الكلية فى تفسير كلمات الفصحاء والبلغاء، فلاشك أنّ

۱- قيامة: ۲۲، ۲۳.

ص: ۱۵۶

المراد منه: يرجـون رحمته، والمراد من قوله:(لا يَنْظُرُ إِلَيهِمْ) (۱) هو طردهم عن ساحته وعـدم شـمول رحمته لهم وعدم تعطّفه عليهم، لاعدم مشاهدته إياهم.

و الحاصل: أنّ النظر إذا اسـند إلى «العيون» يكون المعنى المراد الاسـتعمالى والجدّى هو الرؤية على أقسامها، وإذا اسند إلى «الشخص الفقير» أو إلى «الوجوه» فيراد به الرؤية استعمالًا والانتظار جدّاً.

ثم إنّ لصاحب الكشاف هنا كلمـة جيـدة، حيث يقال بهـذا الصدد: «يقال: «أنا إلى فلان ناظر ما يصـنع بى» يريد معنى التوقّع والرّجاء.» (۲)

«خمس آيات على مائدة التفسير»

إنّ أصحاب القول بالرؤية يتمسّكون ببعض الآيات مما لا دلالة له على مدّعاهم، بل لا صلة بينه وبين القول بالرؤية:

الآية الاولى:(قالَ يا مُوسى إِنِّى اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسالاتِى وبِكَلامِى فَخُذْ ما آتَيْتُكَ وكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ) (۳)

۱- آل عمران: ۷۷.

۲- الأعراف: ۱۴۴.

۳- الزمخشرى، الكشاف: ۳/ ۲۹۴.

ص: ۱۵۷

قيل: إنّ الاستدلال بهذه الآية على جواز الرؤية قوى؛ لأنّ الله تعالى عدّد لموسى(ع) هذه النعم التى أنعم الله بها عليه لما منعه من حصول جائز طلبه منه، فذكر ما ذكر تسلية له، ولو منعه من ممتنع لكان بخطاب آخر وذلك مثل خطابه لنوح(رَبِّ إِنَّ ابْنِی مِنْ أَهْلِی وإِنَّ وَعْدَکَ الْحَقُّ وأَنْتَ أَحْکَمُ الْحاکِمِینَ) (۱) اقول: أنّ إثبات الرؤية بها تحميل للنظرية على الآية، وليس تفسيراً لها؛ لو لم‌نقل إنّ الآية وردت على خلاف ما يدّعيه، فإنّما وردت فى مورد الامتنان على موسى(ع) وموعظة له أن يكتفى بما اصطفاه الله به من رسالاته وكلامه ويشكره ولايزيد عليه.

الآية الثانية:(لِلَّذِینَ أَحْسَنُوا الْحُسْنی وزِیادَةٌ) (۲) فقد فسّرت الحسنى بالجنّة والزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم!

الجواب:

- وإنّ سياق الآية يدلّ على أنّ المراد من الزيادة هو الزيادة على الاستحقاق، قال سبحانه:(فَأَمَّا الَّذِینَ آمَنُوا وعَمِلُوا

۱- هود: ۴۵ و ۴۶.

۲- يونس: ۲۶.

ص: ۱۵۸

الصَّالِحاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ويَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ) (۱) و قال سبحانه:(لَهُمْ ما يَشاؤُنَ فِيها ولَدَيْنا مَزِيدٌ) (۲) فإنّ المراد أحد المعنيين، إمّا زيادة على ما يشاؤونه مالم يخطر ببالهم ولم‌تبلغه أمانيهم، أو الزيادة على مقدار استحقاقهم من الثواب بأعمالهم.

الآية الثالثة:(وَ إِذا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً ومُلْكاً كَبِيرا) (۳) قال الرازى: فانّ إحدى القراءات فى هذه الآية فى «ملكاً» بفتح ميم وكسر اللام وأجمع المسلمون على أنّ ذلك الملك ليس إلّا الله». (۴) الجواب:

و يلاحظ على كلامه: إنّ المسائل العقائدية يستدلّ عليها بالأدلّة القطعية لا بالقراءات الشاذّة، وسياق الآية يدلّ على أنّه هو المُلك- بضمّ الميم وسكون اللّام- وكأنّه سبحانه يقول: وإذا رميت ببصرك الجنة رأيت نعيماً لايوصف وملكاً كبيراً لا يقدّر قدره.

الآية الرابعة: آيات اللقاء:(فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ) (۵)،

۱- النساء: ۱۷۴.

۲- ق: ۳۵.

۳- الإنسان: ۲۰.

۴- الرازى، مفاتيح الغيب: ۱۳/ ۱۳۱.

۵- الكهف: ۱۱۰.

ص: ۱۵۹

(وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاقُوهُ) (۱)،(تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ) (۲).

وجه الاستدلال: أنّ الآيات تنسب اللقاء إلى الله تعالى، ومقتضى الأخذ بالظاهر هو تحقّق اللقاء بالمشاهدة والمعاينة.

لكنّ هذا الاستدلال يلاحظ عليه: أنّ اللقاء كما أضيف فى هذه الآيات إليه سبحانه اضيف إلى غيره فى آيات أخرى، فتارة أضيف إلى لفظ «الآخرة»، قال سبحانه:(وَ قالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بِلِقاءِ الْآخِرَةِ) (۳) وأخرى إلى لفظ «اليوم» قال سبحانه:(وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هذا) (۴) وقال سبحانه:(وَ قِيلَ الْيَوْمَ نَنْساكُمْ كَما نَسِيتُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هذا) (۵) وعلى ذلك يكون المراد من الجميع هو لقاء الناس يوم الجزاء، وإنّما سمّى هذا بلقاء الرّب أو لقاء الله لما تعلّقت المشيئته على مجازاة المحسنين والمسيئين فى ذلك اليوم.

و الّذى يدلّ على أنّ المراد من اللقاء ليس هو الرؤية: أنّ الرؤية تختصّ بالمؤمنين ولا تعمّ الكافرين، مع أنّه سبحانه يعمّم اللقاء بالمؤمن والكافر، فلم تبق أيّة فضيلة وزيادة

۱- البقرة: ۲۲۳.

۲- الأحزاب: ۴۴.

۳- المؤمنون: ۳۳ وأيضاً الأعراف: ۱۴۷.

۴- الزمر: ۷۱.

۵- الجاثية: ۳۴.

ص: ۱۶۰

تختصّ بالمؤمنين.

و فى الختام نقول: إنّ منزلة آيات اللقاء هى منزلة آيات الرجوع إلى الله، قال سبحانه:(إِنَّا لِلَّهِ وإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ) (۱)، ولم نر سلفياً أو أشعرياً يستدلّ بها على رؤية الله سبحانه، مع أنّ وزان الجميع واحد.

ألآية الخامسة: آية الحجب:(كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) (۲) قال الآلوسى: لايرونه تعالى وهو حاضر ناظر لهم بخلاف المؤمنين، فالحجاب مجاز عن عدم الرؤية؛ لأنّ المحجوب لايرى ما حجب. واحتج بالآية مالك والشافعى وأنس ابن مالك.

و يلاحظ على هذا الكلام: أنّ الآية بصدد تهديد المجرمين، وهذا لايحصل إلّا بتحذيرهم وحرمانهم من رحمته وتعذيبهم فى جحيمه، فالمراد أنّ هؤلاء محجوبون يوم القيامة عن رحمته وإحسانه وكرمه، وبعد ما منعوا من الثواب والكرامة يكون مصير هؤلاء إلى الجحيم وإنّ الله سبحانه ذكر نعم الجنّة الكثيرة ومقامات المؤمنين ولو كانت الرؤية من أماثل نعمه سبحانه فلماذا لم يذكرها بوضوح كسائر النعم؟!

۱- البقرة: ۱۵۶.

۲- همان: ۱۵۶.

ص: ۱۶۱

رؤیة الله فی الأحادیث النبویة

بقی الکلام فی الروایات الواردة حول الرؤیة فی الصّحاح والمسانید ودلالتها علی المطلوب، لکنّ الکلام فی حجیة الروایات الّتی تعارض الذکر الحکیم وتباینه؛ فإذا کان الکتاب العزیز مهیمناً علی سائر الکتب، فلِماذا لایکون مهیمناً علی السنن المرویة عن الرسول(ص)، التی دوّنت بعد مضی ۱۴۳ سنة من رحیله(ص)! ولم تصن عن دسّ الأحبار والرهبان! قال سبحانه:

(فَاحْکُمْ بَیْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ ولا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ عَمَّا جاءَکَ مِنَ الْحَقِّ) (۱) و لا یعنی ذلک: حذف السّنة من الشریعة ورفع شعار حسبنا کتاب الله، بل یعنی التأکد من صحّتها ثمّ التمسّک بها فی مقام العمل والاعتقاد!

(إِنَّ فِی ذلِکَ لَذِکْری لِمَنْ کانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَی السَّمْعَ وهُوَ شَهِیدٌ) (۲)

۱- المائده: ۴۸.

۲- ق: ۳۷.

ص: ۱۶۲

الرؤية القلبية

كان المرتقب من أئمّة الحديث والكلام الإشارة إلى قسم آخر من الرؤية الّذى ليس هو بعين مادية ولا بصر جسمانى، إنّما هى رؤية أخبر عنها الكتاب ولا تتوقّف على الجهة والمقابلة ولاالتجسيم والمشابهة، قال سبحانه:(وَ كَذلِكَ نُرِى إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ والأَرْضِ ولِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ) (۱) قال العلّامة الطباطبائى: «إنّه تعالى يثبت فى كلامه قسماً للرؤية والمشاهدة وراء الرؤية البصرّية الحسّية؛ وهى نوع شعور فى الإنسان يشعر بالشىء بنفسه من غير استعمال آلة حسّية أو فكرية، بل يجده وجداناً من غير أن يحجبه عنه حاجب. والذى يتجلّى من كلامه سبحانه أنّ هذاالعلم المسمّى بالرؤية واللقاء يتمّ للصالحين من عبادالله يوم القيامة، قال تعالى:(يا أَيُّهَا الإِنْسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ) (۲) فهذا هو العلم الضرورى الخاص. (۳) الّذى لايتردّد إليه الريب.

و ليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين، تعالى الله عمّا يصفه المشبّهون والملحدون».

۱- الأنعام: ۷۵.

۲- الميزان: ۸/ ۲۵۳ ۲۵۲.

۳- الانشقاق: ۶.

ص: ۱۶۳

تكفير «إبن باز» لمن لايقول بالرؤية

غير أنّ مفتى السعودية عبدالعزيز بن باز غالى فى الموضوع؛ وذلك فى الفتوى الصادرة فى ۸/ ۱۴۰۷ ه. المرقّمة ۷۱۷/ ۲ جواباً على سؤال وجّهه عبدالله بن عبدالرحمن يتعلّق بجواز الاقتداء والائتمام بمن لايعتقد بمسألة الرؤية فى يوم القيامة؛ فأفتى: بأنّ من ينكر رؤية الله سبحانه وتعالى فى الآخرة لايصلّى خلفه وهو كافر عند أهل السنّة والجماعة!

و قال أبوبكر المروزى: من زعم أنّ الله لايرى فى الآخرة فقد كفر، وقال من لم يؤمن بالرؤية فهو جهمى، والجهمى كافر!

و قال إبراهيم بن زياد الصائغ: سمعت أحمد بن حنبل يقول: الرؤية، من كذّب بها فهو زنديق، وقال: من زعم أنّ الله لا يرى فقد كفر بالله! وكذّب بالقرآن! وردّ على الله أمره! يستتاب فإن تاب وإلّا قتل!

تحليل هذه الفتيا:

۱- إنّ هذه الفتوى لاتصدر عمّن يجمع بين الرواية والدّراية، وإنّما متفرّعة على القول بأنّ الله مستقرّ على عرشه فوق السّماوات.

ص: ۱۶۴

۲- إنّ النبی الأکرم(ص) کان یقبل إسلام من شهد بوحدانیته سبحانه ورسالة النبی(ص)، وهذا هو البخاری یروی فی صحیحه: أنّ الإسلام بنی علی خمس، ولیس فیه شیءٌ من الإقرار بالرؤیة، وهل النبی(ص) ترک ما هو مقوّم الإیمان والإسلام؟!

۳- إنّ الرؤیة مسألة اجتهادیة تضاربت فیها أقوال الباحثین من المتکلّمین والمفسّرین وکلّ طائفة تتمسّک بلفیف من الآیات؛ فتمسّک المثبت بقوله سبحانه:(إِلی رَبِّها ناظِرَةٌ) وتمسّک النافی بقوله سبحانه(لا تُدْرِکُهُ الأَبْصارُ) فکیف یکون إنکار النافی ردّاً للقرآن، ولا یکون إثبات المثبت ردّاً له؟!

و إذا جاز التأویل لطائفة، فکیف لایسوغ لطائفة اخری؟!

۴- ما معنی قول من یقول فی مقابل المنکر للرؤیة: السیف السیف!؟ بدل أن یقول: الدراسة الدراسة، الحوار الحوار!

ألیس شعار «السیف السیف» ینمُّ عن طبیعة عدوانیة قاسیة ونفسیة خالیة من الرحمة والسماحة؟! وأنا أُجلّ إمام دارالهجرة عن هذه الکلمة!

۵- إنّ نفی الرؤیة شعارُ أئمّة أهل البیت(علیهم السلام) وشعار الإمام أمیرالمؤمنین علی(ع) فی خطبه وکلماته قبل أن یولد جهم وأذنابه، ولأجل ذلک اشتهر: «العدل والتنزیه علوّیان والجبر والتشبیه أموّیان»!

ص: ۱۶۵

الخاتمة

لقد تجلّت الحقيقة بأجلى مظاهرها، وهى أصفى من أن تكدّر صفوها الشُّبه؛ ومن قرأ مباحث هذا الفصل بإمعان وتأمّل وقف على أنّ الحقّ مع النافين للرؤية وأنّه ليس للمثبتين دليل لا عقلى ولا نقلى.

فالمسلم مادام له حجّة على عقيدته ولم يكن مقصّراً فى سلوكها لايحكم عليه بشىءٍ من الكفر والفسق ولاالعقاب ولا العذاب وأظنّ أنّه لو انعقد مؤتمر علمى فى جوّ هادئ واستعدّت الطائفتان للتّأمل فى براهين النافين والمثبتين لقلّ الخلاف وتقاربت الطائفتان. نعم إنّ خلافاً دام قروناً لاينتهى بأسبوع أو شهراً وبعقد مؤتمر ومؤتمرين، ولكن الرجاء تقريب الخطى وعدم تكفير إحدى الطائفتين للطائفة الأخرى.

إنّ من كتب حول الرؤية من إخواننا أهل السنّة- من غير

ص: ۱۶۶

فرق بين النافى والمثبت- فقـد دقّ كلّ باب ورجع إلى كلّ صـحابى وتابعى ومتكلّم وفيلسوف، ولم يـدقّ باب أئمّـة أهل البيت(عليهم السـلام) وفى مقـدّمتهم الإمام على(ع) باب علم النبى(ص) وأقضـى الأئمّـة وأحـد الثقلين اللّـذين تركهما النبى(ص) لهدايـة الأمّة. فقد طفحت خطبه التوحيديـة بتنزيهه سـبحانه عن رائحـة التجسـيم وشوب الجهـة وإمكـان الرؤيـة، فبلّغ رسالات الله الّتى تعلّمها فى أحضان النبى(ص) بأبلغ بيان. وإذا ذهبت العدليـة كالمعتزلـة والإماميـة إلى امتناع الرؤية فمنه أخذوا ومن منهجه تعلّموا، فبلغوا الغاية فى التنزيه حسب إرشاداته، كما صـرّح بذلك غير واحد من أئمّة العدلية(ع)؛ وقد ذكرنا بعض خطبه فيما مضـى، ومن أراد التفصـيل فليرجع إلى خطبه فى نهج البلاغة، وإلى كلمات أبنائه الطاهرين(عليهم السلام) فى كتاب التوحيد للشيخ الصدوق(رحمة الله).

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الحمد لله الذى جعلنا من المتمسّكين بولاية أميرالمؤمنين، على بن أبى‌طالب،

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

تم التلخيص فى مدينة قم المشرفة

۱۵ الربيع الثانى من عام ۱۴۲۵ ه. ق.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلّامة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المكتب الرّئيسيّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹